الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الأنثربولوجيا

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس أنثروبولوجيا

انثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي

من اعداد:

الدكتورة/ حورية بن قدور

السنة الدراسية: 2026/2025

فهرس المحاضرات

مقدمة 6

المحاضرة الأولى: تعريف أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي 8

المحاضرة الثانية: دراسة حالة لأنثروبولوجيا الفضاء – الفضاء الريفي أنموذجاً 13

المحاضرة الثالثة: ماهية الفضاء والمكان 20

المحاضرة الرابعة: مقاربة أنثروبولوجيا الفضاء والمكان لقراءة الهوية الاجتماعية 25

المحاضرة الخامسة: فضاء المدينة 30

المحاضرة السادسة: الفضاء السكني الدلالات والتمثلات 41

المحاضرة السابعة: الدار تحقيق الوجود 45

المحاضرة الثامنة: الفضاء السكني والخصوصية 51

المحاضرة التاسعة: البيت فضاء الحرية والاستقلالية والحضور الاجتماعي 58

المحاضرة العاشرة: الفضاء العمومي 63

المحاضرة الحادي عشر: الحمام كفضاء اجتماعي 66

المحاضرة الثاني عشر: الأسواق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي 72

المحاضرة الثالثة عشر: الفضاء العمومي الافتراضي 83

المحاضرة الرابعة عشر: الأنثروبولوجيا ومجال الفضاء الخارجي 91

المحاضرة الخامسة عشر: الحدائق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي 96
قائمة المراجع 110
أولاً: المراجع العربية 110
ثانياً: المراجع الأجنبية 111

السداسي	**الثالث**
عنوان الوحدة	**أساسية**
المادة	**انثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي**
الرصيد	**5**
المعامل	**2**
أهداف التعليم	1) التعرف على احد الميادين للانثروبولوجيا 2) التعرف على موضوعاتها و أهدافها 3) المناهج الانثروبولوجية الخاصة بالحقل الفضاء الاجتماعي وتطبيقاتها الميدانية
المعارف المسبقة المطلوبة	1) ميادين الانثروبولوجيا 2) الأهداف العامة للانثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي 3) المنهجية العامة للبحث العلمي
القدرات المكتسبة	1) الجوانب الخاصة بالدراسات الانثروبولوجية المحققة في مختلف المجتمعات الإنسانية. 2) التوصل الى فهم ماهية فضاء الاجتماعي للمجتمع والثقافة بطريقة موضوعية وعلمية. 3) التوصل الى فهم المناهج الانثروبولوجية لدراسة أي ظاهرة انثروبولوجية
مفردات المادة	**1. تعريف أنتروبولوجيا الفضاء** **2. دراسة حالة لأنثروبولوجيا الفضاء** **3. ماهية الفضاءوالمكان**

(يجب أن يتضمن السداسي 15مفردة تعليمية/درسا).	4. **مقاربة أنتروبولوجيا الفضاءوالمكانلقراءةالهوية الاجتماعية** **5. فضاء المدينة** **6. الفضاء السكني الدلالات والتمثلات** **7. الدارتحقيق للوجود** 8. **الفضاء السكني والخصوصية** **9. البيت فضاء الحرية والاستقلاليةوالحضور الاجتماعي** 10. **الفضاء العمومي** **11. -الحماماتكفضاءاجتماعي** **12. الاسوق كفضاء اجتماعي** **13. الفضاء العمومي الافتراضي** **14. الأنثروبولوجيا ومجال الفضاء الخارجي** **15. الحدائق وحدائق الالعاب كفضاء اجتماعي**

انثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي

أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي

مقدمة

يعد الفضاء الاجتماعي أحد المفاهيم المحورية في التفكير الأنثروبولوجي المعاصر، لما يحمله من كثافة دلالية تتجاوز البعد الهندسي أو الجغرافي، لتطال أنماط العيش، وصيغ التفاعل، وبناء المعنى داخل الجماعات البشرية. فالفضاء لا يفهم هنا بوصفه إطارا محايدا تحتضنه الممارسات الإنسانية، بل باعتباره نتاجا اجتماعيا وثقافيا، يعاد تشكيله باستمرار عبر أنظمة الرموز، والعلاقات السلطوية، والطقوس اليومية، وتمثلات الأفراد والجماعات لذواتهم وللعالم من حولهم.

لقد أسهمت الأنثروبولوجيا، منذ بداياتها الكلاسيكية وصولا إلى مقارباتها المعاصرة، في تفكيك التصور الطبيعي للفضاء، مبينة كيف تتحول الأمكنة إلى فضاءات مشحونة بالمعنى عبر الاستعمال، والذاكرة، والانتماء. فالفضاء ليس مجرد امتداد مادي، بل هو بناء اجتماعي تتقاطع فيه الخبرة الحسية مع التنظيم الرمزي، ويتداخل فيه الفردي بالجماعي، واليومي بالمؤسسي. ومن هذا المنطلق، يصبح تحليل الفضاء مدخًا أساسيًا لفهم البنى الاجتماعية، وأنماط القرابة، وأشكال السلطة، وتمثلات الجسد، وحدود الحميمية والعلنية.

تسعى هذه السلسلة من المحاضرات إلى مقاربة الفضاء الاجتماعي من منظور أنثروبولوجي تركيبي، يزاوج بين التحليل المفاهيمي والدراسة الإثنوغرافية للأمكنة المعيشة. فالاهتمام لن ينصب على الفضاء بوصفه خلفية صامتة للحياة الاجتماعية، بل باعتباره فاعلا مشاركا في إنتاج العلاقات والهويات. وفي هذا السياق، سيتم التوقف عند مجموعة من الفضاءات اليومية التي تشكل نسيج التجربة الإنسانية، مثل البيت والمسكن والحدائق والحمّام، وصولًا إلى الفضاء الافتراضي، بوصفها مواقع تتجسد فيها القيم الثقافية، وتُعاد فيها صياغة الحدود بين الخاص والعام، وبين الفردي والجماعي.

فالبيت، على سبيل المثال، لا يمثل مجرد مأوى مادي، بل يشكل مركزا رمزيا للانتماء والذاكرة، وفضاء لإعادة إنتاج العلاقات الأسرية وأدوار النوع الاجتماعي. أما المسكن، فيتجاوز بعده الوظيفي ليعبر عن الموقع الاجتماعي، وأنماط العيش، وأشكال التمايز الطبقي. وتكشف الحدائق، باعتبارها فضاءات وسيطة بين الطبيعي والمشيد، عن تصورات المجتمع للطبيعة، وعن طرائق تنظيم الجمال والاسترخاء واللقاء. في حين يقدم الحمام مثالا غنيا على فضاء تتقاطع فيه الطهارة بالجسد، والخصوصية بالجماعية، والطقس باليومي، ما يجعله موقعًا مميزا لتحليل تمثلات الجسد والحياء والنظام الاجتماعي.

أما الفضاء الافتراضي، فيمثل تحولا نوعيا في فهم الفضاء الاجتماعي ذاته، إذ لم يعد التفاعل البشري مشروطا بالحضور الفيزيائي، بل أصبح يتم عبر واجهات رقمية تعيد تشكيل مفاهيم القرب، والهوية، والانتماء. وهو ما يفتح أمام الأنثروبولوجيا آفاقا جديدة لدراسة أنماط العيش الرقمية، وأشكال الجماعة الافتراضية، والتحولات التي تمسّ التجربة المكانية في زمن العولمة والتكنولوجيا.

إن الغاية من هذه المحاضرات ليست تقديم وصف للأمكنة في حد ذاتها، بل مساءلة ما تحمله من أنساق رمزية، وما تختزنه من علاقات قوة، وما تتيحه من إمكانات للفعل الاجتماعي. فأنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي تسعى، في جوهرها، إلى الكشف عن الكيفية التي ينتج بها الإنسان أمكنته، وفي الوقت نفسه يعاد تشكيله من خلالها. ومن هنا، فإن الاشتغال على هذه الفضاءات المختلفة يتيح فهمًا أعمق لديناميات المجتمع المعاصر، وللطريقة التي تتجسد بها الثقافة في تفاصيل الحياة اليومية.

وبهذا المعنى، تشكل هذه السلسلة محاولة لفتح أفق نقدي لفهم الفضاء بوصفه تجربة معيشة، وبناء اجتماعيا، ومجالًا للصراع والتفاوض والمعنى، انطلاقا من مقاربة أنثروبولوجية تربط بين النظرية والممارسة، وبين المحلي والكوني، سعيًا إلى الإحاطة بتعقيد العلاقة التي تربط الإنسان بأمكنته في عالم سريع التحول.

المحاضرة الأولى: تعريف أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي

للوهلة الأولى يتبادر إلى أذهان الطلبة أو المهتمين بالأنثروبولوجيا لماذا ندرس الفضاء في الأنثروبولوجيا؟ وإذا كانت الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان فلماذا تختص بدراسة الفضاء؟ كلها تساؤلات مفيدة للانطلاق في توصيف أهمية اهتمام الأنثروبولوجيا بالفضاء الاجتماعي.

صحيح أن الأنثروبولوجيا هي (علم الإنسان)، ولكنها لا تعنى فقط بدراسة الإنسان وحده ككائن بيولوجي اجتماعي، بل هي أيضاً تهتم بدراسة العلاقات التي يبنيها الإنسان مع محيطه المادي، الرمزي والاجتماعي. ومن هنا ينبثق الاهتمام بـ الفضاء بوصفه بنية وممارسة في آنٍ معاً: ليس مجرد خلفية (background) لأفعال البشر، بل إطاراً منتجاً للمعنى الاجتماعي والثقافي.

يقول تيم إنغولد[1]: "Space is not a container in which life happens, but the very stuff of life itself" أي أن الفضاء ليس "مكاناً فارغاً" ينتظر أن يسكنه الإنسان، بل هو تركيب متداخل مع الخبرات الإنسانية.كما يقول ابن خلدون أن الإنسان اجتماعي بطبعه، وأنه لا يقدر على العيش بدون الجماعة، هذه الجماعة التي هي جزء من عدة مجموعات تشكل نسق مجتمع معين. هذا المجتمع يتميز بكونه له خصوصية ثقافية اجتماعية دينية سياسية، وله أيضاً أسلوب أو نمط حياة معين يختلف به عن باقي المجتمعات الأخرى[2].

---

[1] Tim Ingold, *The Perception of the Environment: Essays on Livelihood, Dwelling and Skill*, London: Routledge, 2000, p. 189.

[2] ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت: دار الفكر، 2004.

هذه المجموعات تجعل من الأفراد ضمن نطاق فضاء محدد يتأثرون ويؤثرون، في حركية البحث عن التأقلم والانسجام والتلاحم، ويمنحه أيضاً الشعور بالذات الفردية والذات الجماعية (الانتماء). هنا يكون الاندماج عبر فترات حياة الأفراد عن طريق التربية والتنشئة والتعلم وعملية الاكتساب (العادات، التقاليد، اللغة، التدين)، وبالتالي تنتج تلك العلاقات والروابط الاجتماعية الشعور بالانتماء وامتلاك الهوية. قبل الانطلاق في تعريف أنثروبولوجيا الفضاء، نعرض تعريف الأنثروبولوجيا كمدخل لفهم أنثروبولوجية الفضاء.

أولاً: تعريف الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا :(Anthropologie) هي علم دراسة الإنسان طبيعياً، ثقافياً، اجتماعياً، حضارياً، نفسياً. والمصطلح هو من شقين :Anthropos :تعني الإنسان :Logosتعني علم وبالتالي معنى المصطلح هو: علم الإنسان، ويرجع أصل المصطلح إلى اليونان.

الملاحظ أن الأنثروبولوجيا كعلم لا يزال مجال تخصصها يتوسع (التكامل المعرفي) ليشمل جوانب ومجالات عديدة، على غرار أنثروبولوجيا الفضاء والمكان. وعليه جاء كتاب الفرنسية فرانسواز شوي المعنون بـ: *Une Anthropologie de l'espace: habiter, fonder, distribuer, transformer*[3].

ثانياً: تعريف أنثروبولوجيا الفضاء

قبل تعريف أنثروبولوجيا الفضاء لنتساءل أولاً مع لويس مورو إن كانت هذه الأنثروبولوجيا ممكنة. إنه – فيما يرى مورو – وبالنظر إلى الأعمال التي أنجزها علماء اجتماع وأنثروبولوجيون وجغرافيون، أمثال بالونديي

[3] Françoise Choay, *Pour une anthropologie de l'espace: habiter, fonder, distribuer, transformer*, Paris: Seuil, 2006.

(فضاء المدن الإفريقية)، وعلماء اجتماع مدرسة شيكاغو (ساهموا في تأسيس أنثروبولوجيا الفضاء السكني)، وروبير هيرتز وأعماله حول الذاكرة الجمعية، قام علاوة على ذلك بتحليلات دقيقة للفضاءات الإنسانية، مثل مكان الحج. إنه بالنظر إلى ذلك يمكن الحديث عن أنثروبولوجيا الفضاء[4].

ويضيف هذا الأخير أنه في ميدان الفضاء ليس هناك تمييز بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ويدخل معهما علم اجتماعي آخر هو الجغرافيا الإنسانية. فهذه الأخيرة منذ عقود عديدة أنتجت حول الفضاء المعيش والفضاء السكني أعمالاً يصعب أحياناً تصنيفها: هل هي أنثروبولوجية أم سوسيولوجية أم جغرافية. وهذا ما يؤكد ضرورة انفتاح أنثروبولوجيا الفضاء على مختلف العلوم الاجتماعية.

ومن خلال تلك الأعمال يمكن القول إن" :أنثروبولوجيا الفضاء تهتم بطرق السكن وبالطرق التي تنظم بها المجتمعات الفضاء"[5]. وعليه فإن هذا العلم يهتم بالفضاء السكني الممارس والمحلوم به، والمرسوم، والمتمثل، والمنطوق، والمتقاسم، وليس فقط استعمالات الفضاء، بل أيضاً إنتاجه من قبل الفاعلين الاجتماعيين، ونظرية للأشياء المكانية وطرق تنظيمها عبر الزمن.

وتذهب أليس هاتزويولون إلى أن أنثروبولوجيا الفضاء تهتم بعلاقات الإنسان بالفضاء والزمن[6].

---

[4] Louis Moreau, *Anthropologie de l'espace*, Paris: CNRS, 1997.

[5] عبد الله بن معمر، "الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل"، مجلة آفاق، العدد 52.

[6] Alice Hutzopoulon, *Anthropologie de l'espace et du temps*, Paris: L'Harmattan, 2003

ثالثاً: تعريف أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي

هناك نقطة أساسية يجب التنويه لها، وهي أن الأوروبيين يستعملون مصطلح أنثروبولوجيا الفضاء، بينما يميل الباحثون الأمريكيون إلى استعمال مصطلح أنثروبولوجيا الفضاء والمكان.

الفضاء هو" :تشكيل بدائي يبني المدى الذي يتحرك فيه جسمنا وضمنه توضع الأشياء، ويحصر المكان وتحده مساحة، ويسمح بنقل ومناولة الأشياء"[7]. أنثروبولوجيا الفضاء هي فرع من فروع الأنثروبولوجيا التي تدرس كيفية تأثير الفضاء (الجغرافي والاجتماعي) على الأفراد والمجتمعات، وكيفية تفاعل البشر مع بيئاتهم المادية والاجتماعية، وتنظيمهم للفضاء وفق القيم الاجتماعية والثقافية.

وتتضمن أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي تحليل تفاعل الأفراد مع:

- المدن
- القرى
- الأماكن العامة
- الأماكن الخاصة
- الفضاءات الافتراضية

كما تدرس تأثير البنية الاجتماعية والسياسية على توزيع واستخدام الفضاء. وهي تدرس العلاقة بين الأفراد وبيئاتهم من خلال فهم كيفية تنظيم الفضاء واستخدامه، وارتباطه بالهويات الثقافية والاجتماعية

---

[7] جلباوي إبراهيم، *الهوية الاجتماعية من خلال أنثروبولوجيا الفضاء والمكان*، القاهرة، 2022، ص 260.

والسياسية. فالفضاء ليس مجرد مكان مادي، بل مجال مشبع بالمعاني والرموز التي تؤثر في العلاقات الاجتماعية والهويات الثقافية والهياكل السياسية.

رابعاً: مجالات دراسة أنثروبولوجيا الفضاء

1.الفضاء المادي: دراسة تصميم وتنظيم المدن والأحياء والبيوت، وكيف يعكس ذلك الترتيب الاجتماعي والثقافي، وتأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية على توزيع السكان واستخدام الأرض.

2. **الفضاء الاجتماعي**: تحليل تقسيم الفضاء وفق معايير الطبقة الاجتماعية والجنس والعرق والدين، واستخدام الفضاء العام والخاص في علاقات القوة والتمييز.

3. **الفضاء الثقافي**: دراسة ارتباط الفضاء بالممارسات والطقوس الثقافية، ودوره في تشكيل الهوية والذاكرة الجماعية.

4. الفضاء السياسي: دراسة تنظيم الفضاء وفق القوى السياسية والاقتصادية، والتخطيط العمراني وتقسيم الأراضي وفرض الحدود، واستخدام الفضاء لتحقيق أهداف سياسية.

تستخدم أنثروبولوجيا الفضاء أدوات من الجغرافيا والسوسيولوجيا وعلم الاجتماع الحضري لفهم الأبعاد المتعددة للفضاء، وتهدف إلى إبراز العلاقة الديناميكية بين الفضاء والتفاعلات الاجتماعية والثقافية، وفهم دور الفضاء في تشكيل الهويات وتنظيم المجتمع.

المحاضرة الثانية: دراسة حالة لأنثروبولوجيا الفضاء – الفضاء الريفي أنموذجاً

الفضاء الريفي يمثل البيئة الطبيعية التي تجمع بين الأنشطة الزراعية، الحياة الاجتماعية المترابطة، والمشاهد الطبيعية الهادئة. على الرغم من التحديات التي يواجهها مثل الهجرة إلى المدن والتغيرات البيئية، يبقى الفضاء الريفي مكانًا فريدًا يربط الإنسان بالأرض والطبيعة.

المجتمع الريفي هو مجتمع شعبي بسيط منعزل تسوده الأمية والتجانس، يوجد بين أعضائه إحساس قوي بالتضامن الاجتماعية، تحدد أساليب المعيشة فيه بطريقة آلية وفقا للنسق المتماسك الذي هو الثقافة[18].

1. تعريف الفضاء الريفي

هو المساحة التي تتميز بالطبيعة المفتوحة والمناطق التي تقع خارج المدن أو التجمعات الحضرية. يتميز هذا الفضاء بكونه أقل كثافة سكانية مقارنة بالفضاء المديني، ويعتمد بشكل أساسي على الأنشطة الزراعية والمصادر الطبيعية كمحرك رئيسي للاقتصاد. يتسم الفضاء الريفي بالهدوء، والمساحات الواسعة، والتواصل القوي بين الإنسان والبيئة.

---

[7] Redfield, Robert, *The Little Community and Peasant Society and Culture*, Chicago: University of Chicago Press, 1956.

8Foster, George M., *Traditional Societies and Technological Change*, New York: Harper & Row, 1962

2. **مميزات الفضاء الريفي** من مميزات المجتمع الريفي أن أعضائه يهيمن عليهم التفسير القدري للظاهرة: كتفسير الجفاف بغضب الطبيعة، وبانحراف الناس عن الدين، وليس بواجب الاجتهاد العلمي والبحث عن الوسائل العلمية لتحدي الظروف المحيطة بهم[29].

- مجتمع تلقائي، تقليدي.
- العلاقات الاجتماعية ونظم القرابة فيه تعتبر نماذج يقتدى بها.
- سيطرة الدين على الحياة الدنيوية.
- نظام الاقتصاد مبني على المكانة الاجتماعية والمقايضة أكثر من اعتماده على قوانين السوق.
- الاستقلال النسبي لسكان الريف بالنسبة للمجتمع العام.
- أهمية الحياة العائلية كزمرة بنيوية، أي أن العائلة تشكل زمر (وحدات ثقافية واجتماعية) في المجتمع Structuresعلى شكل إقطاعية صغيرة.
- تميز الاقتصاد بالاكتفاء النسبي، وارتباطه بالاقتصاد العام (الوطن)، بمعنى الاكتفاء في المنتجات الزراعية فقط، أما المنتجات الصناعية ترتبط بالاقتصاد العام للبلاد.
- أهمية ودور الأعيان في حياة القرية/الريف (الشيخ، المقدم، كبير السن....)
- التعارف المتبادل من خلال العلاقات الداخلية (التضامنية) مثل روابط الزواج، المقايضات في العمل والاستهلاك ووسائل العمل.

3. **الوظائف الحضرية للريف**

---

[9] ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت: دار الفكر، 2004.

يعتبر ابن خلدون أول من لفت الأنظار إلى الفرق بين الحضر والريف، حيث رأى أن الريف يكون بضواحي المدينة، بينما الحضر يكون بضواحي الأمصار والقرى والمدن. وقال أن اختصاص الريف والبدو بالزراعة والرعي، وهو أمر ضروري لهم، في حين أن الصناعة هي من اختصاص أهل الحضر. وبذلك اعتبر كل من الريف والحضر مجتمعان متكاملان هما اللذان يكونان المجتمع العام[310].

4. خصائص الفضاء الريفي

- **المساحات الواسعة:** الفضاء الريفي يمتاز بوجود مساحات واسعة مفتوحة، وهي غالبًا ما تكون مناطق غير معمورة أو مناطق تستخدم للزراعة والرعي.
- **قلة الكثافة السكانية:** غالبًا ما تكون المناطق الريفية أقل كثافة سكانية مقارنة بالمناطق الحضرية، حيث يسكنها عادة عدد أقل من الأفراد.
- **التركيز على الزراعة:** النشاط الزراعي يشكل الركيزة الأساسية للاقتصاد في معظم المناطق الريفية. تشمل هذه الأنشطة الزراعة، تربية الحيوانات، وصيد الأسماك.
- **الطبيعة والمشاهد الطبيعية:** الفضاء الريفي يتميز بوجود مناظر طبيعية خلابة مثل الجبال، الأنهار، الغابات، والمروج، ما يجعله مكانًا للاسترخاء والراحة بعيدًا عن ضوضاء المدن.
- **الأنشطة الاجتماعية والروابط المجتمعية:** الحياة في المناطق الريفية غالبًا ما تكون أكثر ترابطًا اجتماعيًا، حيث يعرف الناس بعضهم البعض بشكل أفضل مقارنة بالمدن.

5. أنثروبولوجيا الفضاء الريفي

[10] Durkheim, Émile, *The Division of Labor in Society*, New York: Free Press, 1984.

في الأنثروبولوجيا، يُدرس الفضاء الريفي من خلال دراسة العلاقة بين الإنسان والمكان، وكيفية تأثير البيئة الطبيعية على أنماط الحياة في هذه المناطق. يشمل ذلك دراسة الأنماط الاجتماعية، التقاليد، والاقتصاد الزراعي.

- **الاقتصاد الريفي:** يعتمد سكان المناطق الريفية غالبًا على الزراعة بشكل رئيسي. يدرس الأنثروبولوجيون العلاقة بين الفلاحين والأرض وكيف يؤثر ذلك على الهوية الاجتماعية للناس في المناطق الريفية.
- **التقاليد والعادات:** الحياة الريفية غالبًا ما تكون مرتبطة بقيم وتقاليد قديمة، ويؤثر الفضاء الريفي على الطقوس الاجتماعية والثقافية، مثل الأعياد والمناسبات التقليدية.
- **الطبيعة والإنسان:** يدرس علماء الأنثروبولوجيا كيفية تكامل الإنسان مع البيئة الطبيعية في الفضاء الريفي وكيف يؤثر التغير البيئي على هذه المجتمعات.

6. الأنشطة الاقتصادية في الفضاء الريفي

- الزراعة: تعتبر الزراعة المصدر الرئيسي للدخل في العديد من المناطق الريفية. تتنوع الزراعة بين المحاصيل الأساسية مثل القمح والذرة والفواكه والخضروات.
- الرعي: في بعض المناطق الريفية، يعتمد الناس على تربية الحيوانات مثل الأغنام، الأبقار، والماعز.
- الصيد: في المناطق الساحلية أو القريبة من الأنهار والبحيرات، قد يعتمد الناس على الصيد كمصدر رئيسي للرزق.
- الحرف اليدوية: في بعض المناطق الريفية، تكون الحرف اليدوية مثل صناعة السلال أو النسيج مصدرًا مهمًا للمعيشة.

7. التحديات التي يواجهها الفضاء الريفي

- ❖ الهجرة إلى المدن: يعاني العديد من المناطق الريفية من ظاهرة الهجرة إلى المدن بسبب البحث عن فرص عمل أفضل أو حياة أكثر تطورًا. وهذا يؤدي إلى نقص في القوى العاملة في الزراعة وغيرها من الأنشطة.
- ❖ التقنيات الزراعية المحدودة: في بعض المناطق الريفية، قد تكون التقنيات الزراعية محدودة مما يؤدي إلى انخفاض الإنتاجية.
- ❖ الانعزال الاجتماعي: في بعض الأحيان، قد تكون المجتمعات الريفية أكثر انعزالًا اجتماعيًا مقارنة بالمدن، مما قد يؤثر على الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية.
- ❖ التغيرات المناخية: التغيرات المناخية قد تؤثر بشكل كبير على الزراعة في المناطق الريفية، خاصةً في المناطق التي تعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية.

8. الفضاء الريفي والتغيرات المعاصرة

- ✓ العولمة: العولمة أدت إلى تأثيرات كبيرة على الفضاء الريفي، حيث يمكن أن تؤثر الأسواق العالمية على أسعار المحاصيل الزراعية، ما يغير من أنماط الحياة الريفية.
- ✓ التكنولوجيا: التقدم التكنولوجي في مجال الزراعة مثل الزراعة الذكية قد يساهم في تحسين الإنتاجية في الفضاء الريفي.
- ✓ الاستدامة: هناك اهتمام متزايد في المجتمعات الريفية بمفاهيم الاستدامة البيئية، مثل الزراعة العضوية والطاقة المتجددة، لتحسين الظروف البيئية والاقتصادية.

9. الفضاء الريفي في المستقبل

من المتوقع أن يشهد الفضاء الريفي تطورات كبيرة في المستقبل. مع ازدياد الاهتمام بالاستدامة وحلول الزراعة الذكية، قد تصبح المناطق الريفية أكثر قدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي في بعض المجالات. كما يمكن أن تلعب التقنيات الحديثة دورًا كبيرًا في تحسين الحياة الريفية وتسهيل الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية.

وهنا يستند إلى نظرية التضامن الآلي والعضوي للعالم الفرنسي دوركايم[411]:

الفضاء المديني	الفضاء الريفي
التضامن العضوي	التضامن الآلي
مجتمع حضري (مدينة)	مجتمع ريفي بسيط
الاختلاف والتعقيد	التجانس بين الأعضاء
المنافسة	كرم الضيافة
الفردانية	الجماعة
العدواة	التضامن والتعاون
أدوات الضبط الرسمي (القانون)	أدوات الضبط الاجتماعي

أنثروبولوجيا الريف والمدينة

- **أنثروبولوجيا الريف والمدينة**: هي مجال دراسي يهتم بفهم العلاقة بين الإنسان ومحيطه في السياقات الريفية والحضرية. يجمع هذا المجال بين دراسة الفضاءات الاجتماعية والمكانية في البيئات المختلفة، ويبحث في كيفية تأثير هذه البيئات على سلوك الأفراد والمجتمعات. في هذا السياق، تقوم الأنثروبولوجيا بدراسة كيفية تنظيم وتوزيع الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المناطق الحضرية والريفية، كما تعنى بكيفية تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية على السكان في كل من الريف والمدينة.

[11] ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت: دار الفكر، 2004.

1. الأنثروبولوجيا الريفية

الأنثروبولوجيا الريفية تركز على دراسة المجتمعات الريفية، أي تلك التي تعيش بعيدًا عن المناطق الحضرية الكبرى. تتمثل خصائص هذه المجتمعات عادة في الاعتماد على الزراعة والأنشطة التقليدية مثل الرعي والصيد. تدرس الأنثروبولوجيا الريفية:

- العلاقة بين الإنسان والطبيعة: كيف يتفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية، مثل الزراعة، واستخدام الموارد الطبيعية، وأثر البيئة على الأنماط الاجتماعية والاقتصادية.
- التنظيم الاجتماعي في الريف: فهم الروابط العائلية، القبلية، أو القروية التي تؤثر على توزيع العمل، العلاقات الاجتماعية، والنشاطات الثقافية.
- الاقتصاد الريفي: في معظم الأحيان، يعتمد اقتصاد المناطق الريفية على الزراعة بشكل رئيسي، ويقوم الأنثروبولوجيون بدراسة كيفية تأثير الاقتصاد الريفي على الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية بين السكان.
- التقاليد والعادات: التركيز على الطقوس والعادات المحلية التي تميز المجتمعات الريفية مثل الأعراس، الأعياد، والمناسبات الدينية. كما تتم دراسة كيفية تطور هذه التقاليد والتأثيرات الاجتماعية والسياسية على المجتمعات الريفية.
- الهجرة والتمدن: كيف تؤثر الهجرة إلى المدن على المجتمعات الريفية، وكيف أن بعض الأفراد يهاجرون بحثًا عن فرص عمل وحياة أفضل في المدن، مما يساهم في التحولات الاجتماعية والاقتصادية في الريف.

المحاضرة الثالثة: ماهية الفضاء والمكان

إن كلمة الفضاء تحمل معاني عديدة ومرادفات كثيرة تعطيها وظيفة واستعمالا حسب السياق، فقد نستعمل كلمة الفضاء بالنسبة للحديث عن الفضاء الخارجي (خارج الكرة الأرضية)، كما يقصد بالكلمة تحديدا المكان (فضاء للممارسة أو النشاط). فالفضاء ليس مجرد "مكان" ثابت، بل هو مفهوماً متنوعًا ومعقدًا يتداخل مع أبعاد مادية واجتماعية ونفسية وثقافية. إن كيفية إدراكنا للفضاء واستخدامه يعكس الطريقة التي نفهم بها العالم ونعيش فيه[1][12][13].

أولا: الفضاء

تعريف الفضاء: المكان أو الفضاء هو واحد من أهم المفاهيم في تخصصات العلوم الاجتماعية، لكونه أساسيا من ناحية فهمنا للجغرافيا، كما عرفه العديد من العلماء والفلاسفة بالآتي:

قاموس أكسفورد: الفضاء هو امتداد مستمر ينظر إليه مع أو بدون إشارة إلى وجود كائنات داخله". و"الفاصل بين النقاط أو الأشياء التي ينظر إليها على أنها ذات بعد واحد أو اثنين أو ثلاثة"[2].

تعريف ميشيل فوكو: إن المكان الذي نعيش فيه والذي يخرجنا من أنفسنا، والذي يحدث فيه تآكل حياتنا ووقتنا وتاريخنا... نحن نعيش داخل مجموعة من العلاقات"[3]. وهو: "المساحة الاجتماعية التي نعيش فيها ونكون علاقات مع أشخاص ومجتمعات ومحيط آخر"[3].

---

[12] Oxford Dictionary, *Definition of Space*, Oxford University Press.

[13] Michel Foucault, “Of Other Spaces”, *Diacritics*, Vol. 16, No. 1, 1986.

باللغة الفرنسية نقول.espace / place / endroit : إذن الفضاء هو ذلك المكان أو المجال المادي والمعنوي المفتوح أمام الأفراد من أجل الاستفادة المشتركة في النشاط لتحقيق المعنى المشترك، حيث يتخذ الأفراد في الفضاء المعين سلوكيات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها، ويتفاعلون ويتبادلون الآراء والمواقف والاتجاهات، وينشؤون بذلك فضاء حيويا ذا دلالة اجتماعية[4]. كما أن الفضاء لا يكتسب أهميته إلا من خلال الاستعمال الاجتماعي له، حيث يحدد ذلك الديناميكية الاجتماعية لأفراد المجتمع، فالمدرسة فضاء عمومي وكذا المسجد والسوق والحديقة ومؤسسات الدولة... ومن هذا المنطلق تعد الجامعة فضاءً عمومياً ذا طابع تعليمي ثقافي[14].

2. أبعاد الفضاء

- **الفضاء المادي (الجغرافي)**: يرتبط بالأماكن الفيزيائية وتوزيعها في الواقع الطبيعي، وهو مجال دراسة الجغرافيا والعلوم المكانية[15].
- **الفضاء الاجتماعي**: يعكس توزيع الأفراد والجماعات وفق العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسلطة داخل المجتمع[16].

---

[14] Henri Lefebvre, *The Production of Space*, Oxford: Blackwell, 1991.

[15] Pierre Bourdieu, *Social Space and Symbolic Power*, Cambridge: Harvard University Press, 1989.

[16] Yi-Fu Tuan, *Space and Place: The Perspective of Experience*, Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977.

- **الفضاء الثقافي**: يرتبط بالهوية الثقافية والرموز والذاكرة الجماعية والأنشطة الثقافية[17].
- **الفضاء النفسي**: يتعلق بالإدراك الذاتي والانفعالي للمكان وتأثيره على شعور الفرد بالراحة أو القلق[18].
- **الفضاء الزماني**: يرتبط بعلاقة المكان بالزمن والذاكرة التاريخية[19].
- **الفضاء الرمزي**: يحمل معاني ودلالات اجتماعية وثقافية تتجاوز البعد المادي[11].

ثانيا: المكان

1. **تعريف المكان:** هو مفهوم يرتبط بالفضاء ولكنه أكثر تحديدًا، حيث يُنظر إليه باعتباره الفضاء الذي يكتسب معنى أو دلالة خاصة نتيجة الخبرة الإنسانية والتفاعل الاجتماعي[12].

والمكان ليس مجرد موقع جغرافي، بل هو مفهوم يتضمن أبعاداً مادية واجتماعية وثقافية وعاطفية، ويعكس علاقة الإنسان ببيئته

2. **أبعاد المكان**

- **المكان المادي** :البيئة الفيزيائية الملموسة التي يعيش فيها الأفراد.
- **المكان الاجتماعي** :مجال للعلاقات والانتماء والهوية الاجتماعية.
- **المكان الثقافي والرمزي** :يرتبط بالذاكرة الجماعية والتراث.
- **المكان في الفلسفة** :يمثل إطار التجربة الإنسانية والمعنى الوجودي للمحيط[14].

---

[17] Setha Low & Denise Lawrence-Zúñiga (eds.), *The Anthropology of Space and Place*, Blackwell, 2003.

[18] David Harvey, *Social Justice and the City*, London: Edward Arnold, 1973.

ثالثا: الفضاء والمكان أنثروبولوجيا

1. المكان في الأنثروبولوجيا

في الأنثروبولوجيا، لا يُفهم المكان كموقع جغرافي فقط، بل كمنتج اجتماعي وثقافي يحمل معاني ورموزاً مرتبطة بالهوية والذاكرة الجماعية[15].

- المكان المادي
- المكان الاجتماعي والثقافي
- المكان والذاكرة الثقافية
- المكان كأداة للسلطة

2. الفضاء في الأنثروبولوجيا

الفضاء مفهوم أشمل من المكان، وهو المجال الذي يتم تشكيله عبر الممارسات الاجتماعية والعلاقات الثقافية[16].

- الفضاء المادي
- الفضاء الاجتماعي
- الفضاء الثقافي
- الفضاء والسلطة

3. العلاقة بين المكان والفضاء

المكان جزء محدد داخل الفضاء، بينما يمثل الفضاء الإطار الأشمل الذي ينظم استخدام المكان ويمنحه معناه الاجتماعي والثقافي[20].

في الأنثروبولوجيا، يُنظر إلى المكان والفضاء بوصفهما عنصرين مترابطين يعكسان الواقع الاجتماعي والثقافي، ويسهمان في فهم العلاقات الاجتماعية والهوية والأنشطة الإنسانية[21].

[20] David Harvey, *Social Justice and the City*, London: Edward Arnold, 1973.

[21] Setha Low & Denise Lawrence-Zúñiga (eds.), *The Anthropology of Space and Place*, Blackwell, 2003.

المحاضرة الرابعة: مقاربة أنثروبولوجيا الفضاء والمكان لقراءة الهوية الاجتماعية

من المعلوم انه ومع تقدم البشرية وانتشارها على هذا الكوكب، تشكلت العديد من الأشكال الاجتماعية، ربطت بينها علاقات بين أفراد هذه الجماعات، وهذا ما يعكسه الفضاء الاجتماعي الناتج عن تلك العلاقات والممارسات والتواصل والتفاعل داخل الحيز الجغرافي او الرقعة الجغرافية التي يسكنونها[1]. يقول لودريت ريمون: "الفضاء إن شئنا كل شيء ولا شيء في نفس الوقت، أو بتعبير آخر قليل وشيء كثير معا. وهذه المفارقة تجد نفسها بوضوح في كون جميع الكائنات في علاقة مجالية محضة..."[22]. فالفضاء الاجتماعي بناء منظم بما يتضمنه من: أحداث، أشخاص، أفعال، اتصالات، تعارف، وأشياء، كل هذه مجتمعة تشكل الفضاء الاجتماعي[3]. ومنه الفضاء ظاهرة اجتماعية كلية تضم مختلف العناصر والعلاقات والبيئة ووضعية الكائنات وحريتهم وممارساتهم اليومية وعاداتهم وغيرها، فالفضاء يعبر عن الحياة اليومية ويرتبط بها بشكل وثيق[4]. وتختلف الممارسات حسب الفضاء: "ممارسات تكون مشروعة في فضاء معين قد لا تكون كذلك في فضاء آخر، وعليه تختلف أيضا الممارسات فيما إذا كان الفضاء خاص أو عام[23].

1. الفضاء الاجتماعي

هو مصطلح يستخدم في الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا للإشارة إلى الطريقة التي يتم بها تنظيم وتوزيع الفضاء وفقًا للمعايير الاجتماعية والثقافية التي تحدد كيف يتفاعل الأفراد والجماعات مع بعضهم البعض ضمن

---

[22] Anthony Giddens, *Sociology*, Cambridge: Polity Press, 2009

[23] Raymond Ledrut, *L'espace social de la ville*, Paris: Anthropos, 1968

بيئات معينة. يعتبر الفضاء الاجتماعي مجالًا يعكس التفاعلات الاجتماعية وتوزيع القوة بين الأفراد والجماعات[24]

وهو مصطلح يعبر عن الطريقة التي يُنظّم بها الفضاء ويُستخدم في المجتمع بناءً على العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية، حيث يرتبط بتوزيع الطبقات الاجتماعية والسلطة والموارد داخل المجتمع[7].

وبمعنى آخر، الفضاء الاجتماعي هو البيئة التي يتشكل فيها التفاعل بين الأفراد، حيث يتم تحديد أماكنهم ومواقعهم وفقًا لمعايير اجتماعية مثل الطبقة الاجتماعية أو النوع أو الانتماء الثقافي، كما يتضمن العلاقة بين الفضاء المادي والممارسات الاجتماعية اليومية.[25]

2. نظرة على تطور الفضاء الاجتماعي

الفضاء الاجتماعي في المجتمعات التقليدية

تجمع الناس في جماعات وقبائل وأنتجوا أنماطًا من العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية والطقوس، وشكل ذلك فضاءً اجتماعياً محدوداً نسبياً يتميز بالبساطة وضعف التمايز الطبقي[26]، ومع تطور التبادل التجاري والترحال بدأت أشكال من التفاعل الثقافي والاقتصادي تظهر، مما أدى إلى توسع الفضاء الاجتماعي وتنوعه.[27]

---

[24] Henri Lefebvre, *La production de l'espace*, Paris: Anthropos, 1974.

[25] Michel de Certeau, *The Practice of Everyday Life*, University of California Press, 1984.

[26] Erving Goffman, *Behavior in Public Places*, New York: Free Press, 1963.

[27] Pierre Bourdieu, "Social Space and Symbolic Power", *Sociological Theory*, 1989.

1. **الفضاء الاجتماعي في العصور الوسطى:** عرفت هذه المرحلة توسعاً في الفضاءات الاجتماعية نتيجة التفاعل والتبادل، وظهور أنماط من التنظيم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، مما أدى إلى اتساع المجال الاجتماعي والمجالي للأفراد.[28]
2. **الفضاء الاجتماعي في العصر الحالي:** مع التقدم التكنولوجي والعولمة، أصبح الفضاء الاجتماعي أكثر اتساعاً وترابطاً على المستوى العالمي، حيث ساهمت وسائل الاتصال والنقل في تكوين فضاء عالمي موحد نسبياً اقتصادياً وثقافياً وسياسياً[12]. كما أدى ذلك إلى ظهور أشكال جديدة من التنافس والصراع، إلى جانب التكامل والتبادل بين المجتمعات[29].
3. **أنثروبولوجيا الفضاء (المكان) الاجتماعي**

نقصد بها دراسة علاقة الإنسان بالفضاء من خلال ممارساته اليومية وعاداته وقيمه وأنماط تفاعله داخل المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه[14]. إن تمثل الفضاء في مجتمع معين يرتبط بأنماط السلوك والتواصل داخله، حيث يحمل كل فضاء خصوصية اجتماعية وثقافية تحدد طبيعة الممارسات وحدودها الرمزية في أذهان الأفراد[15]. لذلك تعتبر علاقة الإنسان بالفضاء علاقة متعددة الأبعاد: دينية، اجتماعية، نفسية، اقتصادية، سياسية وثقافية[30].

4. **الجوانب الرئيسية للفضاء الاجتماعي**

أولا: التقسيم الاجتماعي للفضاء

---

[28] David Harvey, *Social Justice and the City*, London: Edward Arnold, 1973.

[29] Claude Lévi-Strauss, *Structural Anthropology*, Basic Books, 1963.

[30] Marshall Sahlins, *Culture and Practical Reason*, University of Chicago Press, 1976.

يشير إلى كيفية توزيع الأماكن وفقاً للطبقات الاجتماعية أو الانتماءات الثقافية أو الاقتصادية، وهو ما يؤثر على فرص الوصول إلى الموارد والخدمات داخل المجتمع[31].

ثانيا: الفضاء العام والفضاء الخاص: يميز التحليل السوسيولوجي بين:

- الفضاء العام: مجال مفتوح للتفاعل الاجتماعي.
- الفضاء الخاص: مجال تنظمه علاقات اجتماعية خاصة ومعايير سلوكية محددة[8]1.

ثالثا: الفضاء الاجتماعي والممارسات: تنظم الفضاءات الاجتماعية أنماط التفاعل والسلوك، كما يمكن أن يعكس تنظيم المكان توزيع السلطة داخل المؤسسات أو أماكن العمل.[32]

رابعا: الفضاء الاجتماعي والهوية: يلعب الفضاء دوراً أساسياً في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، حيث يرتبط الشعور بالانتماء بالمكان الذي يعيش فيه الفرد أو الجماعة[33]

خامسا: الفضاء الاجتماعي أداة للسيطرة: يمكن استخدام الفضاء كوسيلة للضبط الاجتماعي أو الهيمنة، من خلال التخطيط العمراني أو المراقبة أو تنظيم الحركة والوصول إلى الموارد[21].

---

31 Fernand Braudel, *Civilization and Capitalism*, Harper & Row, 1981.

32 Manuel Castells, *The Rise of the Network Society*, Blackwell, 1996. Anthony Giddens, *The Consequences of*

33 . *Modernity*, Stanford University Press, 1990.Setha Low & Denise Lawrence-Zúñiga, *The Anthropology of Space and Place*, Blackwell, 2003

الفضاء الاجتماعي ليس مجرد إطار مادي لحياة الأفراد، بل هو مجال يتم فيه بناء العلاقات الاجتماعية وإعادة إنتاجها، كما يعكس أنماط السلطة والهوية والثقافة داخل المجتمع، ويؤثر في الممارسات اليومية والتموقع الاجتماعي للأفراد والجماعات.[34]

[34] *The Anthropology of Space and Place*, Blackwell, 2003

المحاضرة الخامسة: فضاء المدينة

توصلنا من خلال المحاضرات السابقة إلى أن الفضاء هو "المكان والحيز الانساني الحاوي للعادات والتقاليد والصيغ الفكرة، كمظهر أساسي يحدد الوظيفة الأساسية للمكان، على أساس انه عنصر هام لفهم طبيعة تفاعل الانسان مع الفضاء (المكان) وسلوكه فيه، فهو عامل أساسي لتحريك البنية الحضارية للمجتمع، يحقق الهوية الحضارية والتي ينشئها التنظيم الادراكي للأفراد، والذي بدوره يهيأ وسائل الاتصال والتفاعل والعلقات الانسانية مع مختلف الأشياء الموجودة في محيطهم، يحقق ذلك التوازن بين الذات وما حولها، فالفضاء أو المكان لا يصبح ذا معنى إلا عندما يشعر الفرد بالانتماء إليه.

الإنسان والفضاء:

إن مشكلة تمثل الفضاء في مجتمع خاص تتموضع حول مفهوم السلوك مفهوم السلوك والاتصال داخل هذا الفضاء، الذي تهيكله علاقة الانسان بهذا الفضاء وبصورة أوسع بالمجتمع الذي يتواجد فيه كعنصر فعال وفاعل. يحمل كل فضاء خصوصية ما يمارس فيه، وكيف يتم التفاعل داخله من خلال الحدود التي يرسمها ويرسمها في أذهان من يترددون فيه.

-إذن تعتبر علاقة الانسان بالفضاء علاقة: دينية/ ثقافية، اجتماعية، سياسية/ اقتصادية، نفسية، أدبية وعلمية، "فعنصر المكان لا يشمل ولا يقتصر على دراسة الجغرافيا وإنما يشمل الواقعة الاجتماعية ككل".

-أما بخصوص تبادلية التأثير بين الانسان والمكان، حيث يقول عمر نسيب ادلبي: "يسهم المكان في تشكيل وعي الانسان بوجوده، ويطبع فكره وهويته –وقبل ذلك فيزيولوجيته- بطابعه، فيما يسهم الانسان في إضفاء خصائص انسانية على المكان بتبديل صفاته وبنيته وأنسنته وفضاءه، هذه العلاقة قائمة على عنصري التعود والزمن" . ويقول: "ولما كان للمكان حضوره المؤسس والبناء لعلاقات المجتمع بفعل تفاعل الانسان مع محيطه الجغرافي وأشيائه، فإن للإنسان بالمقابل دوره في تشكيل القيم الخاصة بهذا المكان عبر مجموعة العلقات

والسلوكيات الانسانية التي تصبح فيما بعد رموزا دلالية تشكل صفات مكان ما. هناك الكثير من الأمثلة عن تباين القيم الخاصة بين سكان المناطق المختلفة، حيث رسمها المعنيون بالقيم الاجتماعية وتمحورها مكانيا كجزر حضارية (البعض يسميها ثقافات فرعية)، وتقود نشاطات المجتمع وقيمه العليا منها على وجه الخصو، وتتجسد واقعيا بالتراتبية الاجتماعية التي تصنع المكان والمكانة".

إذن: الانسان ينظم مكانه ويبرز خصائصه الذاتية والاجتماعية بصيغ مكانية (التراتب الاجتماعي).

الجزء الأول:

1- فضاء المدينة (الفضاء الحضري المديني):

يرتبط نشاط الانسان بطبيعة المحيط الذي يعيش فيه،يحاول دائما التأقلم معه وتسخيره لتلبية حاجاته، ومن جملة الأنشطة التي يقوم بها الانسان، إقامة العروض والتظاهرات خاصة في المدن، لأن المدينة مرتبطة بعدة هياكل تشمل الخدمات والاقتصاد والثقافة ...الخ، والمدينة باعتبارها فضاء يتوفر على العديد من المرافق التي يحتاجها المواطنون والتي من بينها: المراكز الثقافية (المسارح، دور الشباب، القاعات المتعددة الخدمات، قاعات السينما...الخ)، يسمح الفضاء المديني بتوفر هذه المرافق بالموازاة مع هياكل أخرى.

يرى روبرت بارك: " أن المدينة ليست تجمعات من الناس فقط، مع ما يجعل من حياتهم فيها أمرا ممكنا، بوجود الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل النقل والمواصلات. كما انها ليست فقط مجموعة من النظم والدارات مثل: المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات، إن المدينة فوق هذا كله: اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد والعواطف المتأصلة في هذه العادات، وبكلام آخر أن المدينة ليست مكان فيزيقي أو بناء صنعه الانسان فقط، وإنما هي نتاج الطبيعة وذات طبيعة انسانية، ومن ثم هي في النهاية مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن، لهذا فإنها تعد منطقة ثقافية متميزة.

❖ **التعريف:**تعد المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية، فهي الكائن الحي كما عرفها لوكوربزيه، فهي الناس والمواصلات وهي التجارة والاقتصاد، والفن والعمارة، والصلات والعواطف، والحكومة والسياسة، والثقافة والذوق، وهي أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب وتطور الأمم، وهي صورة لكفاح الإنسان وانتصاراته وهزائمه، وهي صورة للقوة والفقر والحرمان والضعف، وللمدينة ذاكرة مجسمة تغوص في المستقبل مثلما تغوص في الماضي رغم أنها دائماً تعبر عن الواقع الحاضر.وفي الحديث عن المدينة وعن التعريف بها نعود إلى المنجد في اللغة والأعلام حيث **نجد الآتي:**

مدن: -مَدَن- مُدُونا بالمكان: أقام و-**المدينة:** أتاها. مدّن المدائن: بناها ومصّرها. تمدّن: تخلق بأحلاق أهل المدن/ انتقل من الهمجية إلى حالة الأنس والظرف. تمدين: تنعم.

والمدينة: جمع مُدْن ومُدُن ومدائن: مجتمع بيوت يزيد عددها على بيوت القرية أو هي المصر الجامع/ علم أطلق بالغلبة على مدينة "يثرب"/ مدينة السلام: لقب بغداد/ المدائن: مدينة قرب بغداد كان بها إيوان كسرى وسميت بالجمع لكبرها[35]، سنترك جانبا تلك التعاريف المتنوعة عنها والتي تهتم بالحديث أكثر عن عمرانها، أسواقها، حرفها، طرقها، حاراتها، مهنها وحتى أزياء أهلها وعاداتهم وطقوس أفراحهم وأتراحهم، وسنركز بالحديث هنا عن المدينة بوصفها رحم وفضاء الثقافة المبدعة والمتجددة باعتبارها فضاءا مفتوحا يسمح بالتأثر والتأثير.

"إذن المدينة في أدق تعريف لها هي ذات الثقافة المتجددة، سواء كانت الثقافة مادية أو روحية، وآية ذلك أنها المكان الذي ينفصل فيه العمل الفكري عن غيره من الحرف، في المدينة نشأ النبي والكاهن والسياسي

[35] انظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 45، 2012، ص752.

والحاكم والفيلسوف والشاعر والمعماري والمعلم، من المدينة نشأت الحضارة بكل جوانبها، وشعت على ما حولها من حواضر"[36].

أولا: الفضاء المديني: يشير إلى المساحات الحضرية التي تضم المدن والبلدات، والتي تتكون من بيئات مأهولة ومبنية تمثل تفاعلًا معقدًا بين البنية التحتية والمجتمعات الإنسانية. يتميز الفضاء المديني بتعدد استخداماته وتنوعه، حيث يشمل الأماكن التي تكون مخصصة للسكن، التجارة، العمل، الترفيه، النقل، وغيرها من الأنشطة الحضرية.

1. **تعريف الفضاء المديني:** الفضاء المديني هو الفضاء المكاني الذي يتم إنشاؤه في المدن أو المناطق الحضرية ويشمل مختلف الأماكن التي يستعملها الأفراد في حياتهم اليومية. يتميز الفضاء المديني بالتنظيم المكاني المعقد، حيث يتداخل فيه الاستعمالات المتعددة مثل السكن، التجارة، المواصلات، المرافق العامة، والأنشطة الاجتماعية.
2. **الوظائف الحضرية للمدينة:**

غالبا ما يستجيب تنظيم المدينة لإيقاع تحركات ورغبات الناس، ولمستوى الحركة الاقتصادية، وللحاجات الاجتماعية والثقافية، على اعتبار أن النسيج العام، داخلها، يولد لدى كل فرد أو مجموعة قدرة على المشاركة في مجموعة من الوظائف وفي العلاقات العامة، أو عدم المشاركة بالنسبة لبعض الفئات (تصنف كفئات هامشية). لذلك، فإن كيفية ترتيب المركز المديني والإيقاع الذي يميزه حسب المجتمعات والثقافات يجعل منه، أي مشهد المركز، فرجة خاصة.

---

[36] احمد برقاوي، المدينة والثقافة،انظر:
https---alarab.co.uk--D8-A7-D9-84-D9-85-D8-AF-D9-8A-D9-86-D8-A9--D9-88-D8-A7-D9-84-D8-AB-D9-82-D8-A7-D9-81-D8-d9 تاريخ التصفح 2021/04/01 30: 15.

- **الوظيفة الاجتماعية:** إذا كان الفضاء العمومي يتميز بكونه فضاء مشاعا بين أفراد المجموعات وبكونه فضاء عبور، فإن الفضاء المديني يمتاز بكونه فضاء انتماء بالدرجة الأولى، فهو يعكس البنية الرمزية لأشكال الانتماء ضمن كل ما تعكسه المدينة من بعد لغوي ورمزي وثقافي (خصوصية المدينة).
- **الوظيفة الصناعية:** إن تموقع الإنسان في أي مكان يجعله يتماهى معه، فيصبح بالنسبة إليه فضاءا حيويا ووجوديا، يسعى إلى تأهيله وفق رؤيته للعالم والقيم، لذلك عرفت المدينة بأنها مصنع النخب، "بل إن أي نخبة مهما كانت أصولها لا يمكن أن تقوم بدورها دون أن تغدو مدينية، وتكون ذهنيتها بوصفها ذهنية مدنية. والنخب التي تصنعها الجامعة، التي هي جوهر المدينة، إنما تعبر عن درجة الثقافة المبدعة التي تعيشها الجامعة بوصفها ظاهرة مدنية"[37].
- **الوظيفة الإدارية:** وضع استراتيجيات مناسبة وحديثة ومتطورة تجعلها دائما في استعداد لاستقبال وتنظيم التظاهرات بكل أنواعها هذا من جهة، ومن جهة ثانية يجعل المدينة تكتسب كل ما تم وضعه من تلك الاستعدادات بشكل دائم.
- **الوظيفة الاقتصادية:** تتمثل الوظيفة الاقتصادية للمدينة في كونها مركزًا للإنتاج والتبادل وتقديم الخدمات. فهي تحتضن الأنشطة الصناعية والتجارية والمالية والمصرفية، إضافة إلى أنشطة الخدمات مثل النقل والاتصال والتأمين. كما توفر المدينة فرص العمل وتستقطب رؤوس الأموال والاستثمارات، مما يجعلها محركًا أساسياً للنمو الاقتصادي والتنمية المحلية والوطنية. وتُعدّ الأسواق والمناطق الصناعية والمراكز التجارية والبنوك من أبرز مظاهر هذه الوظيفة.
- **الوظيفة الفكرية والعلمية:**تضطلع المدينة بدور مهم في إنتاج المعرفة ونشرها، حيث تحتضن المؤسسات التعليمية مثل المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي والمكتبات ودور الثقافة. وتسهم

[37] احمد برقاوي، المدينة والثقافة،مرجع سبق ذكره.

هذه المؤسسات في تكوين الكفاءات البشرية، وتطوير البحث العلمي والابتكار، وتعزيز الوعي الثقافي والفكري. كما تشكل المدن الكبرى مراكز للإبداع الفكري والنشاط الثقافي والعلمي، بما يدعم التنمية البشرية والمعرفية.

- **الوظيفة السياحية:** تتمثل الوظيفة السياحية في استقطاب الزوار والسياح بفضل ما توفره المدينة من معالم تاريخية وأثرية وثقافية، إضافة إلى المرافق الترفيهية والفندقية والمطاعم ووسائل النقل. وتساهم هذه الوظيفة في تنشيط الاقتصاد المحلي من خلال توفير فرص العمل وزيادة العائدات المالية، فضلاً عن تعزيز التبادل الثقافي والتعريف بالهوية المحلية.
- **الوظيفة الدينية:** تؤدي المدينة وظيفة دينية من خلال احتضان دور العبادة مثل المساجد والكنائس، إضافة إلى المؤسسات الدينية والتعليمية المرتبطة بها. كما قد تضم بعض المدن أماكن مقدسة أو مزارات دينية تجذب الزوار والحجاج، مما يعزز مكانتها الروحية والثقافية. وتسهم هذه الوظيفة في ترسيخ القيم الدينية والأخلاقية وتعزيز التماسك الاجتماعي داخل المجتمع الحضري.

2- مكونات الفضاء المديني:

- **الفضاء السكني** :يشمل المناطق المخصصة للإقامة مثل الأحياء السكنية، الشقق، المنازل، والمجمعات السكنية. يتم تصميم هذه المساحات لتلبية احتياجات الحياة اليومية للأفراد.
- **الفضاء التجاري** :يشمل الأسواق، المحلات التجارية، المراكز التجارية، والمطاعم، وغيرها من الأماكن التي توفر السلع والخدمات للأفراد.
- **الفضاء العام** :يتضمن الأماكن المفتوحة التي يمكن الوصول إليها من قبل الجميع مثل الحدائق العامة، الساحات، الشوارع، والمناطق التي تُستخدم لأغراض ترفيهية واجتماعية.

- **الفضاء المؤسساتي** :يشمل المباني التي تحتوي على مكاتب حكومية، مدارس، مستشفيات، جامعات، وغيرها من المرافق العامة التي تخدم المجتمع.
- **الفضاء الثقافي** :يتضمن المسارح، المتاحف، والمكتبات التي تكون مخصصة للنشاطات الثقافية والفنية والتعليمية.

3- الخصائص الأساسية للفضاء المديني:

- **التعددية الوظيفية** :الفضاء المديني يتسم بتعدد الوظائف والاستخدامات. في مدينة واحدة، قد يتواجد السكن بجانب المرافق التجارية والتعليمية والثقافية، مما يجعل من الفضاء المديني مكانًا نابضًا بالحياة ومرنًا.
- **التفاعلات الاجتماعية** :الفضاء المديني يعزز التفاعل بين الأفراد من خلفيات اجتماعية وثقافية متنوعة. المدن هي مواقع رئيسية لتبادل الثقافات والآراء، وهي مجال حيوي للمشاركة الاجتماعية والنشاطات المجتمعية.
- **البنية التحتية والتنقل** :الفضاء المديني يعتمد على وجود بنية تحتية متطورة تشمل شبكات النقل، مثل الطرق السريعة، شبكات القطارات والمترو، ووسائل النقل العام، مما يسهل التنقل بين مختلف الأجزاء داخل المدينة.

4- الفضاء المديني والأنثروبولوجيا:

في الأنثروبولوجيا، يُدرس الفضاء المديني من خلال تحليل العلاقات بين الأفراد والمكان، وكيف يؤثر ذلك على التنظيم الاجتماعي والهوية .يمكن أن يتعامل علماء الأنثروبولوجيا مع الفضاء المديني كأداة لفهم السلطة، التفاوت الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية.

- **الفضاء المديني والطبقات الاجتماعية** :غالبًا ما يتم تقسيم المدن إلى مناطق ذات طابع اجتماعي واقتصادي معين. هناك مناطق غنية تمثل الطبقات العليا، ومناطق فقيرة تمثل الطبقات المتوسطة أو الدنيا. يساهم الفضاء المديني في تشكيل هذه الطبقات الاجتماعية.
- **الفضاء المديني كمساحة للصراع** :يمكن أن يعكس الفضاء المديني الصراعات السياسية أو الاجتماعية بين فئات مختلفة من السكان، مثل الصراعات بين المجموعات العرقية أو بين سكان المدينة والسلطات المحلية.

5- الفضاء المديني في سياق التغيرات المعاصرة:

- **العولمة** :العولمة أثرت بشكل كبير على شكل الفضاء المديني، حيث أصبحت المدن أكثر تنوعًا اقتصاديًا وثقافيًا. بعض المدن أصبحت مراكز اقتصادية عالمية تستقطب الشركات متعددة الجنسيات، مما يساهم في تشكيل أنماط حياة جديدة.
- **التوسع الحضري** :مع النمو السكاني السريع، بدأت المدن في التوسع لتشمل أطرافًا جديدة، مما يخلق تحديات جديدة في **التخطيط العمراني** وتوفير الخدمات العامة مثل التعليم، الصحة، والمواصلات.
- **الفضاء الرقمي والمديني** :مع تقدم التكنولوجيا، أصبح الفضاء المديني يشتمل على فضاء رقمي، حيث تؤثر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي في حياة المدينة من خلال تسهيل التفاعل بين الأفراد في الفضاء الرقمي والعيني.

6- التحديات التي تواجه الفضاء المديني:

- **التلوث البيئي** :كثافة النشاطات في الفضاء المديني تؤدي إلى زيادة التلوث البيئي، سواء كان ذلك تلوث الهواء أو المياه أو الضوضاء. هذا يهدد صحة السكان وجودة الحياة.
- **الازدحام السكاني** :المدن الكبرى غالبًا ما تعاني من الازدحام السكاني، مما يؤدي إلى مشاكل في النقل والازدحام في الأماكن العامة.
- **التفاوت الاجتماعي** :التوزيع غير العادل للموارد والخدمات في المدن قد يعزز من الفجوات الاجتماعية بين المناطق الثرية والمناطق الفقيرة، ما قد يؤدي إلى تفشي الفقر والبطالة.
- **الضغوط على البنية التحتية** :**البنية التحتية** في المدن قد تكون غير قادرة على استيعاب النمو السكاني المستمر، مما يؤدي إلى مشاكل في توفير الخدمات الأساسية مثل المياه والكهرباء والصرف الصحي.

7- الفضاء المديني في المستقبل:

من المتوقع أن يتطور الفضاء المديني في المستقبل ليشمل المزيد من المدن الذكية التي تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة لتحسين الحياة الحضرية، مثل النقل الذكي، إدارة الطاقة، و التخطيط المستدام.

- **الاستدامة** :مع تزايد الاهتمام بالتحديات البيئية، ستصبح المدن المستدامة التي تعتمد على الطاقة المتجددة وحلول النقل الأخضر جزءًا أساسيًا من الفضاء المديني في المستقبل.

- **التفاعل بين الإنسان والتكنولوجيا** :الفضاء المديني قد يتغير ليصبح أكثر تكاملًا مع التكنولوجيا الرقمية، حيث يمكن للأفراد التفاعل مع بيئتهم الحضرية عبر تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي والأنظمة الذكية.

الفضاء المديني هو مساحة حضرية معقدة تمثل تفاعل الإنسان مع بيئته المبنية. تتضمن المدينة العديد من الوظائف المتعددة، من السكن والعمل إلى الترفيه والتعليم، مما يجعلها ميدانًا غنيًا للدراسة الأنثروبولوجية والاجتماعية. بينما تواجه المدن تحديات عديدة من التوسع السكاني و التلوث إلى التفاوت الاجتماعي، فإن الفضاء المديني يبقى حجر الزاوية في فهم الأنماط الاجتماعية و السياسية في العصر المعاصر.

2. الأنثروبولوجيا الحضرية:

في المقابل، تركز الأنثروبولوجيا الحضرية على دراسة الحياة في المدن والمناطق الحضرية. المدن تمثل بيئات متطورة ومعقدة اجتماعيًا وثقافيًا، حيث يتفاعل فيها الأفراد من خلفيات اجتماعية، ثقافية، واقتصادية متنوعة. تشمل دراسة الأنثروبولوجيا الحضرية:

التنوع الثقافي والاجتماعي :في المدن، يتجمع الأفراد من مجموعات ثقافية ودينية وعرقية متنوعة. يدرس الأنثروبولوجيون كيفية تفاعل هذه المجموعات المختلفة، وأثر التنوع على الثقافة الحضرية والعلاقات الاجتماعية.

الفضاءات العامة والخاصة :يدرس علماء الأنثروبولوجيا الحضرية كيفية استخدام الفضاءات العامة (مثل الشوارع، الحدائق، والساحات) في الحياة اليومية للناس، وكذلك الفضاءات الخاصة مثل: (المنازل أو أماكن العمل).

الطبقات الاجتماعية والاقتصادية :المدن تمثل تفاوتًا اجتماعيًا واقتصاديًا بين الأفراد. تركز الأنثروبولوجيا الحضرية على دراسة التفاوت الطبقي في المدينة، مثل الفرق بين الأحياء الغنية والفقراء، ودور هذا التفاوت في بناء هوية المجتمع.

الحركات الاجتماعية :تدرس الأنثروبولوجيا الحضرية الحركات الاجتماعية في المدن مثل الاحتجاجات، التحركات الثقافية، والحركات العمالية.

الهويات الثقافية :في المدن، تتأثر الهويات الثقافية بشدة بالبيئة الحضرية. يمكن أن يؤدي التنوع الثقافي في المدن إلى تشكيل هويات متعددة يمكن أن تتناقض أو تتداخل مع بعضها البعض.

المحاضرة السادسة: الفضاء السكني الدلالات والتمثلات

المسكن كواقعة إنسانية لم يسترع انتباه الملاحظين الاجتماعيين والأنتروبولوجيين فقط، بل إنه شكل أيضا أحد الاهتمامات الخاصة للسيكولوجيين والفلاسفة، ولذلك فإنه يشكل نقطة تقاطع للعديد من الفروع المعرفية وهذا إن دلّ على شيء، فعلى تعدد الدلالات والوظائف والأبعاد التي تكوِّن حقيقة هذا الفضاء الإنساني الذي بدأ كهفا حتى صار اليوم ممثلا في الفيلا الفاخرة المجهزة بأحدث التكنولوجيا والمتمتعة بفضاءات تابعة (الحديقة، المسبح، الملعب...) من أجل تلبية حاجات الإنسان المتنامية مع تطور الحضارة وتعقد الثقافة. وكون المسكن محل اهتمام كل تلك الفروع المعرفية يمكننا من الإحاطة بحقيقته، هذا يعني أننا سوف لن نغلق باب التحليل على أي مقاربة من المقاربات العديدة، بل بالعكس إننا نرى فيها نوعا من التكامل الذي تحتاج إليه الأنتروبولوجيا ربما أكثر من غيرها، ولهذا فإننا نؤكد دائما على التعاون بين الأنتروبولوجيا والفروع المعرفية الأخرى.حينما وجه الأنتروبولوجيون أنظارهم نحو الطريقة التي يشغل بها الناس مساكنهم، وأماكن الصيد والعمل، لاحظوا على الفور بأن الفضاء ليس حاملا محايدا. فبعض الأماكن تكون خاصة بالاحتفالات المقدسة، وأخرى تكون ممنوعة على الرجال أو النساء، وثمة أماكن يجب اجتنابها لأنها مسكونة بالأرواح الشريرة.

وقد كان الاهتمام الأول للباحثين، فيما يتعلق بشغل الفضاء، يتعلق بمورفولوجيا المدن والقرى. ففي حدائق الكواري وصف مالينوفسكي كيف أن لدى التروبرانديين تكون القرية مبنية حول موضوع مركزي مخصص للمراسيم، والرقص والممارسات الجماعية. والمساكن العائلية مرتبة حسب مكانة كل عائلة. وفي كتابه الأنتروبولوجيا البنيوية حاول ليفي- ستروس بناء نظرية رمزية في شغل الأماكن، تكون انعكاسا لبنية اجتماعية وذهنية معقولة جدا.

يعتبر الفضاء السكني في الأنثروبولوجيا هو أكثر من مجرد مساحة مادية للإقامة؛ فهو يرتبط بمجموعة من الدلالات والتمثلات التي تشكل معاني اجتماعية، ثقافية، وسياسية. يمكننا تفسير الفضاء السكني من خلال دراسة كيف يُفهم ويمثل في الوعي الجماعي للأفراد والمجتمعات. يعكس الفضاء السكني ليس فقط البيئة المادية، بل يشكل أيضًا تمثلات ثقافية ومعنوية تتعلق بالعلاقات الاجتماعية والهويات.

1. الدلالات الاجتماعية للفضاء السكني:

- **الخصوصية والعلاقات الأسرية** :يشير الفضاء السكني إلى كيفية تنظيم الحياة اليومية للعائلة أو الأفراد. في العديد من الثقافات، يتسم الفضاء السكني بتحديد الخصوصية بين الأفراد، مثل تخصيص غرف خاصة للأطفال أو الوالدين. تعكس هذه الدلالات الاجتماعية التراتب أو الهرمية داخل الأسرة والعلاقات بين الأجيال.
- **الاجتماعية والاقتصادية** :يعد الفضاء السكني أيضًا مؤشرًا على التفاوت الطبقي .يتم تخصيص **الأحياء السكنية** أو **أنواع المنازل** بناءً على مستوى الدخل، ما يجعل الفضاء السكني يمثل الهوية الطبقية للأفراد. فالمنازل الكبيرة أو الفاخرة تعكس الطبقات العليا، بينما المنازل الصغيرة أو العشوائية ترتبط غالبًا بـ الطبقات الفقيرة.
- **الهوية الثقافية والجماعية** :يعكس تصميم الفضاء السكني الهوية الثقافية للمجتمع. فمثلاً، قد تحتوي المنازل على زخارف أو تفاصيل تصميمية مرتبطة بالموروث الثقافي مثل الرموز الدينية أو الشعبية. كما أن ترتيب المساحات يمكن أن يشير إلى العادات الاجتماعية، مثل وجود مساحات مخصصة للضيوف أو أفراد الأسرة.

2. التمثلات الثقافية للفضاء السكني:

- **المنزل كمكان للراحة والطمأنينة** :في العديد من الثقافات، يُنظر إلى المنزل على أنه مكان للراحة والأمان النفسي .يُحتفظ في المنازل بذكريات الأسرة، ويمثل مكانًا للتواصل العاطفي، حيث تنشأ العديد من الذكريات الفردية والجماعية.
- **المنزل كمكان للتمثيل الاجتماعي** :بالإضافة إلى كونه ملجأً، يُعتبر الفضاء السكني بمثابة تمثيل اجتماعي .يُستخدم تصميم المنزل وترتيب الغرف للتعبير عن الذوق الشخصي و الطبقة الاجتماعية . في بعض الثقافات، يعتبر المنزل الذي يضم مجموعة من الغرف الفاخرة **أو** التفاصيل المميزة تمثيلاً للمكانة الاجتماعية.
- **المكان كأداة للتجديد والهوية** :بالنسبة لبعض الأفراد، يُعتبر تجديد أو تغيير الفضاء السكني وسيلة لتشكيل هوية جديدة .قد يعكس إعادة تصميم المساحات الداخلية رغبة في التحول **أو** التجديد الشخصي، وهو ما يمكن أن يُنظر إليه كرمز لتطور الشخصية أو الانتقال إلى مرحلة جديدة في الحياة.

3. الدلالات السياسية للفضاء السكني:

- **الفضاء السكني كأداة للسيطرة** :يمكن أن تكون الفضاءات السكنية أداة للتأثير أو الهيمنة السياسية .فالتخطيط الحضري والمناطق السكنية قد تُصمم لتأكيد السلطة أو التفريق بين الفئات الاجتماعية .على سبيل المثال، في بعض المدن الكبيرة، قد تكون هناك حدود مكانية تُستخدم لتفريق الأحياء الفقيرة عن المناطق الغنية، مما يعكس التفاوت الاجتماعي.
- **التخطيط الحضري والسياسة السكنية** :تمثل السياسات السكنية العلاقات بين الدولة والمواطنين . يمكن أن تؤثر قوانين التخطيط العمراني والإسكان في التمثلات الاجتماعية للفضاء السكني، مثل تحديد الأحياء السكنية المسموح بها أو تنظيم الوصول إلى الخدمات والمرافق.

4. **الفضاء السكني والذاكرة الجماعية:**

❖ في العديد من المجتمعات، يرتبط الفضاء السكني بـ الذاكرة الجماعية والتاريخ الثقافي. على سبيل المثال، المنازل التقليدية أو الأحياء القديمة قد تمثل مكانًا للتراث والذكريات، حيث يعيد السكان تشكيل ارتباطهم بالماضي.

5. **الفضاء السكني كمرآة للاحتياجات الفردية:**

❖ يمثل الفضاء السكني انعكاسًا لاحتياجات الأفراد والعائلات. فمثلاً، قد يتم تعديل أو إعادة تصميم الفضاء السكني ليتناسب مع تطور احتياجات الأسرة (مثل ولادة أطفال، أو زيادة في عدد أفراد الأسرة، أو التغيرات في النشاطات اليومية). هذا التكيف يعكس المرونة والقدرة على الاستجابة لتغيرات الحياة.

❖ **المساحة والوظيفة** :يمكن أن يتغير دور المساحة داخل المنزل بناءً على المرحلة العمرية لأفراد الأسرة. قد تكون غرفة المعيشة في البداية مكانًا للأطفال، ثم تتحول مع تقدمهم إلى أماكن خاصة بالأنشطة المختلفة.

المحاضرة السابعة: الدار تحقيق الوجود

تحتل الدار مكانة محورية في التحليل الأنثروبولوجي، لأنه الفضاء الأول الذي يحتضن الإنسان منذ ولادته (غالبا) ويمنحه الإحساس بالاستقرار والأمان، ويشكل نقطة انطلاق وجوده الاجتماعي، فالمسكن لا يمكن فهمه على أنه مأوى مادي فقط، بل هو تعبير عميق عن علاقة الإنسان بذاته وبالآخرين، وبالمجتمع وبالمدينة ككل.

1- الدار في المنظور الأنثروبولوجي:

تمثل الدار بالنسبة للإنسان حالة من الأمان والمأوى، ومصدرا للهروب من الصراعات الاجتماعية التي قد يتعرض لها الفرد في حياته اليومية، إذ يعبر عن حالة جنينية تجتاح الفرد وتشعره بالأمومة والدفء، فيشير إليها الأنثروبولوجي **"عبد القادر القصير"** على أنه: **"البناء الذي يأوي إليه الإنسان ويشتمل هذا البناء على الضروريات، التسهيلات، التجهيزات، الأدوات والأجهزة التي يحتاجها أو يرغب فيها الفرد لضمان تحقيق الصحة الطبيعية والعقلية والسعادة الاجتماعية له ولأسرته "**،[38] يمنح عبد القادر هنا تصورا أنثروبولوجيا عميقا للدار بوصفها أكثر من فضاء مادي، إذ تقدم على أنها ملاذ وجودي ونفسي واجتماعي للإنسان، فالدار هنا تجسّد حالة من **الأمان والاستقرار** في مقابل عالم خارجي يتسم بالصراع، والضغط، والتوتر الناتج عن العلاقات الاجتماعية اليومية داخل المجال الحضري. هذا البعد يجعل من المسكن فضاء للانسحاب المؤقت من صخب المجتمع، حيث يستعيد الفرد توازنه النفسي ويعيد بناء ذاته بعيدا عن أعين الآخرين وتوقعاتهم.

[38] بلعيدي رفيق، سعيدة حبيب، الأبعاد الأنثروبولوجية للمسكن التقليدي الجزائري: المسكن الشاوي والصحراوي أنموذجا، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 6، العدد 2، ص ص 458-475.

وعليه فإن المسكن بوصفه بناء اجتماعيا وثقافيا بقدر ما هو بناء مادي فطريقة تشييده، وتنظيم فضاءاته الداخلية واختيار موقعه داخل الحي أو المدينة، كلها عناصر تحمل دلالات اجتماعية وثقافية واضحة،فهو يعكس بنية الأسرة ونمط العلاقات داخلها، والتصورات السائدة حول الخصوصية والسلطة والنوع الاجتماعي والعمر، ففي كثير من المجتمعات يكشف تقسيم الفضاء داخل الدار عن تراتبية اجتماعية غير معلنة، حيث تخصص أماكن معينة للرجال وأخرى للنساء وأماكن للضيوف وأخرى للحياة الخاصة، كما أن المسكن يعد حاملا للذاكرة الجماعية، إذ تتراكم داخله التجارب اليومية والذكريات، والقصص العائلية التي تمنحه بعدا رمزيا يتجاوز وظيفته المادية، وهذا ما نلمسه في منازل المجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

2- الرمزية الثقافية للدار:

يحمل المسكن في طياته شبكة معقدة ومتشابكة من الرموز الثقافية التي لا يمكن فصلها عن السياقات الاجتماعية والتاريخية التي ينتمي إليها، إذ يعد الفضاء السكني انعكاسا حيا لمنظومة القيم والمعايير والتمثلات التي تحكم المجتمع، فالدار ليست فضاء محايدا أو عشوائي التنظيم، بل هي بناء رمزي تترجم من خلاله تصورات الجماعة حول النظام، والسلطة والهوية والانتماء، وتعد الخصوصية من أهم القيم الثقافية التي تتحكم في تنظيم الدار، حيث يتم الفصل بعناية بين الداخل والخارج، وبين المجال العام والمجال الخاص، سواء عبر الجدران أو الأبواب أو الممرات أو حتى من خلال قواعد سلوكية غير مكتوبة، هذا الفصل لا يحمل وظيفة مادية فقط بل يعكس تصورا ثقافيا عميقا للعلاقة مع الآخر، وحدود الانكشاف، ودرجات القرب الاجتماعي.

وعلى سبيل المثال لتأثير الرمزية الثقافية على الدار وتقسيماتها، الفصل بين الفضاءين الأنثوي والذكوري، وتندرج عملية الفصل ضمن طقوس العزل، وطقس العزل في المجتمع الجزائري نابع من الصورة

النمطية التي رسمها المجتمع عن العلاقة التي تجمع بين المرأة والرجل، فكانت تتلخص هذه النظرة في أن أي لقاء يجمع الرجل بالمرأة قد ينتهي إلى حدوث كارثة وهذا كان بمثابة أكبر عار قد يلحق بالعائلة الجزائرية، وعلى ذلك الأساس جاءت طقوس العزل هذه للفصل بين الجنسين لمنع حدوث أية فضائح.[39]

ومن هنا تظهر علاقة الهيمنة والسلطة الذكورية بين الرجل والمرأة وتعبر عنهانماذج القيادة وطريقة تسيير السلطة داخل الفضاء، إذ يدرك كل جنس معنى دوره في البيت، فتقسيم الفضاء بين الجنسين ذو أصل اجتماعي وثقافي، ويؤدي إلى إتباع القوانينالتي نسميها التقسيم الأخلاقي للفضاءالذي يحدد القوانين المناسبة للسير التيتبين حسب نوع الجنس.[40]

ومن هذا المنطلق، يتحول المسكن إلى ما يشبه النص الثقافي المفتوح، الذي يمكن قراءته وتحليله لفهم البنية الاجتماعية وأنماط التفكير والقيم السائدة داخل، فكل تفصيل معماري وكل توزيع للفضاءات وكل استعمال يومي للمكان، يحمل معنى ثقافيا المجتمع يتجاوز وظيفته الظاهرة وبذلكيصبح تحليل المسكن مدخلا أساسيا لفهم المجتمع من الداخل، لأنه يكشف ما هو ضمني وغير معلن في العلاقات الاجتماعية، ويظهر كيف تترجم الثقافة إلى فضاء ملموس ومعيش.

3- الداربوصفها فضاء لإنتاج الهوية:

---

[39] حليمة لغريب، التغير الثقافي وانعكاساته على عادات دورة حياة المرأة الجزائرية دراسة أنثروبولوجية في مدينة بسكرة، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، الجزائر، ص178.

[40] بوزيدي سلاف، إشكالية الشرف لدى المرأة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، سبتمبر 2014، ص ص 111-124.

لكل ثقافة تصورها الخاص لبنية الفضاء السكني سواء في مستواه الداخلي أو الخارجي، إذ لا يمكن النظر إلى العمارة السكنية على أنها اختيار تقني أو جمالي محض، بل هي تعبير صريح ومباشر عن منظومة من القيم والعادات والتصورات الاجتماعية التي يحملها الأفراد والجماعات، فكل معالجة معمارية من شكل البناء إلى طريقة توجيهه وتقسيم فضاءاته وحدود انفتاحه أو انغلاقه، تعكس رؤية ثقافية خاصة للعلاقة بين الإنسان والمكان وبين الخاص والعام، وبين الداخل الآمن والخارج الاجتماعي، وعليه فإن الساكن لا يشكل المجال السكني بشكل عشوائي، بل يعيد إنتاج ثقافته داخل هذا الفضاء، فيجسد من خلاله أنماط العيش وأشكال التضامن ومفاهيم الخصوصية والانتماء.

ويعد الشكل الخارجي للمسكن أحد أبرز المؤشرات الرمزية على هذه الاختلافات الثقافية، إذ يعكس علاقة المجتمع بالفضاء المحيط وبالآخرين، ففي بعض الثقافات يكون المسكن ذا شكل مستطيل ويمتد بناؤه على مساحة واسعة، ما يدل على أهمية الاستقرار الأسري والامتداد العائلي والقدرة على استيعاب عدد كبير من الأفراد داخل نفس الفضاء، كما يوحي هذا الامتداد الأفقي بعلاقة أكثر انفتاحا مع الأرض والمحيط، حيث يشكل المسكن جزءا من المجال الاجتماعي العام، دون قطيعة حادة بين الداخل والخارج.

ويكشف هذا الاختلاف بين نماذج السكن عن كون الفضاء المعماري نتاجا لتفاعل معقد بين الثقافةوالبيئة والتنظيم الاجتماعي، فالمسكن في هذا السياق يتحول إلى مرآة تعكس أسلوب الحياة السائد وطبيعة العلاقات الاجتماعية وحدود التواصل مع الآخر، ومن ثم فإن تحليل بنية الفضاء السكني داخليا وخارجيا، يمكن الأنثروبولوجي من فهم عميق للثقافة، ليس من خلال الخطاب، بل من خلال الممارسة اليومية المتجسدة في الحجر والجدران وتنظيم المكان.

ويتجسد ذلك في التصميم الهندسي للمنزل فنلاحظ حجم الأبواب والنوافذ الصغيرة وذلك للحرص على ستر المنزل ونسائه، وهذا ما يعرف بمصطلح" ***الحرمة***" وهذا الأخير يعبر عن الشرف والنخوة وغيرة الرجال على نسائهم، ودلالة الأبواب ذات الأحجام الصغيرة هي انحناء واخفاض رأس أي شخص أثناء دخوله المنزل، وفي أغلب الأحيان تكون الغرفة المجاورة للباب هي غرفة استقبال الضيوف، فبعد دخول الرجل يتجه مباشرة إلى هذه الغرفة ويطلق باللغة العامية لمجتمع الدراسة بـ:" ***الصالة***" ، وذلك تفاديا لرؤيته بقية المنزل أو أحد حريمه.[41]

4- التحولات الحضرية و أثرها على معنى الدار:

شهدت المدن المعاصرة تحولات عميقة أثرت بشكل مباشر على معنى المسكن ووظيفته، فقد أدت الحداثة إلى تقلص المساحات وظهور أنماط سكنية جديدة مثل الشقق والعمارات، مما غير طبيعة العلاقات داخل المسكن وبين الجيران، وأهم تغيير قد حدث هو انتقال الأسرة من النمط الممتد إلى النووي، كما ساهمت العوامل الاقتصادية والسياسات السكنية في تحويل المسكن إلى سلعة، يقاس بقيمته السوقية أكثر من معناه الرمزي، ورغم ذلك لا يزال المسكن يحتفظ بدوره كفضاء لإعادة إنتاج الثقافة، حيث يسعى الأفراد إلى تكييفه مع حاجاتهم الرمزية حتى داخل أكثر الأشكال السكنية حداثة.

يبرز تحليل الدار في إطار الأنثروبولوجيا الحضرية أنه ليس مجرد بناء معماري، بل هو فضاء وجودي بامتياز، تتحقق فيه الذات الإنسانية وتتجسد فيه العلاقات الاجتماعية، وتعاد من خلاله صياغة الثقافة والهوية، إن دراسة الدار تتيح فهما عميقا للعلاقة الجدلية بين الإنسان والمكان، وبين الفرد والمجتمع وبين التقليد والحداثة

[41] حليمة لغريب، مرجع سابق، ص 179.

في السياق الحضري، ومن ثم فإن المسكن يظل مدخلا أساسيا لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية التي تعرفها المدن المعاصرة.

المحاضرة الثامنة: الفضاء السكني والخصوصية

فضاء السكن أو الفضاء السكني (المنزل، البيت، الدار، القصر...): هو ليس مجرد ذلك المكان المخصص للإقامة فقط ، بل هو يتجاوز ذلك ليعبر عن **مساحة حيوية** تتأثر بالعوامل المادية، الاجتماعية، والثقافية. ففي الأنثروبولوجيا، يُعتبر الفضاء السكني مجالًا لدراسة كيفية تنظيم الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، وكيف يعكس هوية الأفراد والجماعات. كما أن تنظيم الفضاء السكني يعكس الهويات الثقافية والمجتمعية ويؤثر على **الخصوصية، السلطة، والهيكل الاجتماعي.**

1) **تعريف الفضاء السكني:** سنتعامل مع كلمات: مكان، وفضاء، ومجال على أنها مترادفة، وهذه الكلمات يجعلها خليل أحمد خليل تقابل كلمة Espace الفرنسية و Spaceالإنجليزية، ويعرف المكان بالقول: "المكان من التمكُّن، لا من الكون (كالمقال من القول)، هو حاوي الشيء المستقّر. ويميز بين المكان والمكانة. فالمكان في الحسيّ (كالمنزل) والمكانة في المعنوي (كالمنزلة)". و"المكان هو الموضع، وجمعه أمكنة، وهو المحل (Lieu) المحدد الذي يشغله الجسم. تقول مكانا فسيحا، ومكان ضيقا". وهكذا فالمكان يحيلنا إلى شيء حسي يشغله الجسم، وبهذا المعنى فإن المكان تتعدد أنواعه وصوره تبعا لأبعاده وحسب شاغله وما يجرى داخله، ولهذا فالمسكن أو المنزل يمثل أحد أنواع المكان. وبالرجوع إلى الجذر اللغوي للكلمة (س. ك. ن) نجد المشتقات الفعلية والاسمية منه تحيل على أربعة معان رئيسة :**المنزل:** بمعناه المادي المباشر: فالسكن والمسكن: المنزل والبيت.**فعل السكن:** أي الإقامة بالمكان المعَّد للسكنى: فسكن بالمكان يسكن سُكنى وسكونا: أقام. **الإنسان الذي يسكن:** فالسكْن أهل الدار، اسم لجمع ساكن كشارب وشرْب. **الهدوء والسكينة:** سكن الشيء يسكن سكونا إذا ذهبت حركته... والسكن: كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره، وربما قالت العرب السكن لما يسكن إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿جعل لكم الليل سكنا﴾(سورة الروم: الآية 21). و"استكن وتمسكن واستكان، أي خضع وذلّ". ويبدو

أن كل هذه المعاني تتركز حول معنى القرار والثبات، في مقابل الحركة والاضطراب. فالمسكن أو المنزل هذا الوسط المادي الحامي والمحمي في الوقت نفسه يحقق السكينة والهناءة والراحة والاطمئنان ولذلك سمي مسكنا. للمزيد انظر: (عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة: نحو أنتروبولوجيا للمنزل العدد 52 آفاق).

وهو أيضا المساحة التي تُستخدم للسكن والعيش اليومي، ويشمل جميع الأماكن التي يخصصها الأفراد أو الأسر للإقامة داخل حدود معينة، مثل المنازل، الشقق، أو أي نوع آخر من المباني التي توفر مأوى. لكن الفضاء السكني لا يقتصر فقط على الهيكل المادي للمكان، بل يشمل أيضًا كيف يتم **استخدام** هذه المساحة وتنظيمها داخليًا وفيما يخص التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد الذين يقيمون فيه.

2) أهمية الفضاء السكني: تتجلى في عدة جوانب تتعلق بحياة الإنسان اليومية، سواء من الناحية الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية، أو حتى الثقافية. فالفضاء السكني ليس مجرد مكان يعيش فيه الأفراد، بل هو بيئة تشكل وتؤثر في سلوكياتهم وعلاقاتهم ونمط حياتهم بشكل كبير. وهذه بعض الأبعاد المهمة التي **تبرز أهمية الفضاء السكني:**

التأثير الاجتماعي والتفاعلي: يشكل الفضاء السكني البيئة التي تُبنى فيها علاقات الأفراد داخل الأسرة، أو بين الجيران، أو حتى بين مختلف أفراد المجتمع. على سبيل المثال، في المجتمعات التقليدية، حيث تكون المساحات المشتركة جزءًا أساسيًا من الهيكل الاجتماعي، يساهم الفضاء السكني في تعزيز الروابط الاجتماعية وتقوية العلاقات العائلية والجماعية. ويوفر السكن الخصوصية للأفراد، مما يسمح لهم بالاسترخاء واخذ قسط من الراحة. في المقابل، قد يتيح أيضًا مساحات للتفاعل الاجتماعي، مثل غرف المعيشة أو المساحات المشتركة. لذا، يعتبر التوازن بين المساحة الخاصة والمساحة العامة داخل الفضاء السكني أمرًا حيويًا في تشكيل ديناميكيات الأسرة والمجتمع.

التأثير النفسي والرفاهية: يعزز الفضاء السكني الشعور بالانتماء والراحة النفسية. المنزل أو المسكن يعتبر بمثابة ملاذ آمن للفرد حيث يمكنه الهروب من الضغوط اليومية، والتمتع بالخصوصية والأمان. ويلعب التصميم الداخلي للفضاء السكني دورًا حاسمًا في رفاهية الأفراد. فوجود الضوء الطبيعي، والتهوية الجيدة، والمساحات المفتوحة يمكن أن يعزز الصحة النفسية والعاطفية، ويسهم في تقليل مستويات التوتر والقلق. أما التصميم غير المناسب فقد يؤدي إلى الشعور بالضيق أو الإرهاق.

التأثير الثقافي والهوية: الانتماء والتعبير عن الهوية :يعكسهما الفضاء السكني، فالبيت هو جزءً من هوية الأفراد والثقافات المختلفة. مثلاً، يمكن أن تعكس الديكورات و الترتيب الداخلي للمسكن التقاليد، والذوق الشخصي، والمعتقدات الثقافية. يُعتبر الفضاء السكني بمثابة مرآة للثقافة المحلية والعادات الاجتماعية. بالإضافة إلى التقاليد والأنماط الحياتية فهي تختلف من خلال تصاميم المنازل السكنية بين الثقافات والمستويات المختلفة، بحيث ترتبط بالطقوس والعادات الخاصة بكل مجتمع، مثل توزيع الغرف بناءً على عدد أفراد الأسرة أو تقسيم المساحات بين الرجال والنساء في بعض المجتمعات.

التأثير الاقتصادي: يمكن أن يكون من خلال إدارة الموارد في الفضاء السكني مثلا، يرتبط بشكل مباشر بالموارد الاقتصادية للأفراد. فالمنزل أو المسكن يتطلب ميزانية خاصة من أجل الصيانة، و التجديدات، و فواتير الخدمات مثل الكهرباء والمياه. كما أن نوع المسكن وموقعه يمكن أن يؤثر على الوضع المالي للأفراد. ويساهم موقع الفضاء السكني وميزته في السوق العقاري بشكل كبير في الاقتصاد الكلي من خلال سوق العقارات. الطلب على المسكن والأنماط المختلفة للبناء (مثل الشقق السكنية، البيوت المستقلة، أو المجمعات السكنية) يؤثر على النمو الاقتصادي وفرص العمل في قطاعات مثل البناء، المبيعات العقارية، و الخدمات المنزلية.

التأثيرعلى السلوكيات اليومية: إن التنظيم الداخلي للفضاء السكني يمكن أن يؤثر على أنماط الحياة اليومية. على سبيل المثال، المساحات المفتوحة والمريحة تشجع على النشاطات العائلية المشتركة مثل تناول الطعام معًا أو اللعب في المساحات المفتوحة. كما أن وجود غرف مخصصة للعمل أو الدراسة في المنزل يمكن أن يعزز الإنتاجية والتركيز. كما أن التنقل داخل تصميم الفضاء السكني يؤثر على حركة الأفراد داخل المنزل. إذا كان هناك تنظيم جيد للفضاء، مثل وجود ممرات واسعة وغرف متعددة الأغراض، فإنه يمكن أن يُسهل من حركة الأشخاص ويجعل الحياة اليومية أكثر سلاسة وراحة.

الاستدامة البيئية: من خلال التأثير البيئي، فالفضاء السكني يتأثر أيضًا بالتحولات البيئية والعوامل الطبيعية. في العصر الحديث، هناك اهتمام متزايد بتصميم الفضاءات السكنية بطريقة مستدامة، مثل استخدام مواد بناء صديقة للبيئة، الطاقة المتجددة، وتقنيات الحد من استهلاك الموارد .يساهم هذا في تقليل البصمة البيئية للمسكن وحماية البيئة.

التأثيرعلى الصحة العامة: تنعكس من خلال نمط التهوية والإضاءة، فالفضاء السكني يجب أن يوفر بيئة صحية من خلال ضمان وجود تهوية جيدة وإضاءة طبيعية، ما يساهم في تحسين صحة الأفراد وتقليل المشاكل الصحية المرتبطة بالرطوبة أو قلة الضوء. وايضا من خلال العوامل النفسية التي تتأثر بالألوان (فاتحة أو غامقة _ قوية او خفيفة)، والتصميم، وترتيب الأثاث تؤثر في المزاج العام لسكان الفضاء السكني. لذا، قد يكون التصميم الداخلي للمسكن أحد العوامل المؤثرة في مستويات الراحة النفسية وجودة الحياة.

1. الفضاء السكني من الناحية المادية:

- يشمل **المباني السكنية** :مثل المنازل، الشقق، الفلل، أو حتى الأبنية متعددة الطوابق التي تضم عدة وحدات سكنية.
- يتألف من **المساحات الداخلية** مثل: (الغرف، الصالات، المطبخ، الحمام) بالإضافة إلى **المساحات الخارجية** مثل: الحديقة، الفناء، أو الشرفة.
- تصميم الفضاء السكني يختلف من مكان لآخر بناءً على ثقافة المجتمع، مستوى الدخل، أو التوجهات المعمارية السائدة في المنطقة.

2. **الفضاء السكني من الناحية الاجتماعية:**

- يعتبر **الفضاء السكني** مكانًا للعيش الجماعي، حيث يتم التفاعل بين أفراد الأسرة أو حتى بين الجيران في حال كان الفضاء يتضمن أكثر من أسرة.
- **التنظيم الداخلي** للفضاء السكني يعكس **الهيكل الاجتماعي** للأفراد الذين يعيشون فيه. فمثلاً، في العديد من الثقافات، يتم تخصيص غرف خاصة لكل فرد أو مجموعة داخل الأسرة، ما يحدد **الخصوصية** أو **السلطة** الاجتماعية.
- يساهم الفضاء السكني في تنظيم **العلاقات الاجتماعية** داخل العائلة أو المجتمع، حيث يمكن أن تكون بعض المناطق أكثر خصوصية (مثل غرف النوم)، بينما تكون مناطق أخرى مخصصة للتفاعل الجماعي (مثل غرفة المعيشة أو المطبخ).

3. الفضاء السكني كمساحة ثقافية:

- يعبّر الفضاء السكني عن **الهوية الثقافية** للسكان. على سبيل المثال، في بعض الثقافات، يكون ترتيب الأسرة أو توزيع الغرف ضمن المنزل جزءًا من عادات وتقاليد معينة.
- في بعض الأماكن، قد يرتبط **الفضاء السكني** بشكل قوي بالطقوس أو التقاليد الثقافية، مثل كيفية تخصيص المساحات للضيوف أو استخدام الزخارف التي تعكس الثقافة المحلية.

4. الفضاء السكني والطبقات الاجتماعية:

- يُستخدم الفضاء السكني أحيانًا كأداة **لتحديد الطبقات الاجتماعية** .حيث يمكن أن يختلف **حجم، تصميم، وموقع** المنزل بناءً على الدخل الاجتماعي للفرد أو الأسرة.
- في المجتمعات الحضرية، يمكن أن يكون الفضاء السكني **مؤشرًا اقتصاديًا**، حيث يميز بين الطبقات الاجتماعية المختلفة من خلال الأحياء السكنية، نوعية البناء، وجود أو غياب الخدمات والمرافق.

5. الفضاء السكني في الأنثروبولوجيا:

- في الأنثروبولوجيا، يُعتبر الفضاء السكني **مرآة للهيكل الاجتماعي والثقافي** للمجتمع. يتم فحص كيفية استخدام الناس لهذا الفضاء ليفهم العلماء كيفية **تنظيم الحياة اليومية** والعلاقات بين الأفراد.
- تُدرس كيفية تأثير **البيئة السكنية** على العلاقات الاجتماعية، مثل كيف يمكن أن يؤثر تصميم المنازل أو الأحياء السكنية على التواصل الاجتماعي أو **التفاعل الجماعي**.

6. الفضاء السكني في الحضر والريف:

- يختلف **الفضاء السكني** في المناطق الحضرية عن تلك الريفية في تصميمه واستخدامه. في المدن الكبرى، يميل الفضاء السكني إلى أن يكون أكثر كثافة ويشمل مباني متعددة الطوابق، بينما في الأرياف قد تكون المنازل أقل كثافة وأكثر توسعًا.
- في الحضر، يمكن أن يكون الفضاء السكني متعدد الاستخدامات ويشمل الشقق أو الأبنية السكنية التي تضم مساحات تجارية، بينما في الريف قد يكون الفضاء السكني مخصصًا بشكل أكبر للمساحات الخاصة والعائلية.

7. التحديات المعاصرة للفضاء السكني:

- مع **التحضر السريع** والنمو السكاني، يواجه الفضاء السكني تحديات عدة مثل **الاكتظاظ السكاني**، نقص المساكن، وسوء التخطيط العمراني في بعض المدن.
- **التفاوت في الوصول إلى السكن الجيد** يعد من أبرز القضايا الاجتماعية في العصر الحديث، حيث يعاني العديد من الأفراد من صعوبة في الحصول على سكن مناسب أو يقع في مناطق غير آمنة أو ذات خدمات محدودة.

المحاضرة التاسعة: البيت فضاء الحرية والاستقلالية والحضور الاجتماعي

يحتل البيت مكانة مركزية في دراسات الأنثروبولوجيا الحضرية، لكونه أحد أكثر الفضاءات التصاقاً بالحياة اليومية للأفراد، فالبيت لا يختزل في كونه بنية معمارية أو إطارا ماديا للسكن، بل ينظر إليه كفضاء اجتماعي وثقافي تتجسد داخله القيم والمعايير وأنماط السلوك، ومن خلال البيت تتحدد أشكال العيش وتبنى العلاقات الأسرية وتمارس الأدوار الاجتماعية المرتبطة بالنوع والعمر والمكانة.

أدرك الأنثروبولوجيون الارتباط بين المكان والمجتمع والثقافة، والمنزل يمثل أحد جوانب المكان ولذلك فقد أولوا هؤلاء عنايتهم به من جوانب متعددة، حيث حدد لنا مارسيل موس الجوانب الي ينبغي أن يتناولها الباحث في دراسته للمسكن وهي كما يلي:

- نوع المواد الداخلة في بناء المسكن وهذا يقود إلى دراسة شكله (دائرة، مربع، مستطيل...) ونمطه (كهف، خيمة...).
- الناحية الوظيفية والمورفولوجية ويشمل هذا دراسة الأثاث واستعمالاته والمعتقدات المرتبطة به، وطقوس البناء والمطبخ وعلاقة المنزل بالحديقة والحقل العناية بالمنزل وتزيينه وطريقة بنائه فرديا أو جماعيا وغيرها.
- الغاية من المسكن: أي دراسة المسكن من حيث الاستخدام الخلاص والعام، ذلك أن هناك منازل خاصة بالرجال ومنازل للنساء الخائضات

- دراسة التجمعات السكنية ذلك أن الدراسة الاثنولوجية للمنزل لا تكتمل في نظر موس بدون دراسة القرية أو المدينةفي حال وجودهما، لأن المنزل لا وجود له لذاته إلافي البلدان الي تكون فيها المساكن متفرقة.ولكن هذه الحالة نادرة.[42]

هكذا إذن تعددت الوجوه التي ينبغي أن يتناول منها المنزل أنثروبولوجيا حسب مارسيل موس، باعتباره ظاهرة اجتماعية وثقافية معقدة، تتداخل في إنتاجها وتشكلها عوامل متعددة ومتشابكة وفي هذا السياق سنحاول إلقاء الضوء على بعض الرمزيات والمعايير والمتطلبات التي يعيد المجتمع من خلالها صياغة الفضاء السكني، فالبيت يصبح مجالا تتجسد فيه قيم الحرية والاستقلالية، لكن ضمن حدود يفرضها النسق الثقافي والاجتماعي، إذ يتيح من جهة هامشًا من الاستقلال عن الفضاء العام، ومن جهة أخرى يخضع لقواعد وضوابط تضبط السلوك والعلاقات داخله.

1- البيت كفضاء للحرية:

ينظر إلى البيت بوصفه فضاء خاصا يتيح للأفراد هامشا من الحرية مقارنة بالفضاءات العامة، ففي داخله تمارس الخصوصية ويجد الفرد مجالا للتعبير عن ذاته بعيداعن أعين المجتمع، كما يسمح البيت بتنظيم الوقت والسلوك اليومي وفق اختيارات شخصية أو عائلية، غير أن هذه الحرية تبقى نسبية ومشروطة إذ تختلف باختلاف الموقع الاجتماعي للفرد داخل الأسرة، فالحرية داخل البيت ليست متساوية بين الرجل والمرأة

[42] عبد الله بن معمر، الفضاء السكني والثقافة نحو أنثروبولوجياالمنزل، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 52، 2021، ص ص 14-31.

أو بين الكبار والصغار كما تتأثر بالعادات والتقاليد السائدة، ومن هنا فإن البيت قد يكون في الوقت نفسه فضاء للراحة والتحرر وفضاء للضبط والقيود الاجتماعية.

وعلى سبيل المثال يعد تقسيم السلطة داخل المنزل في إطار الأسرة الممتدة مثلا أحد المؤشرات الأساسية على طبيعة التنظيم الاجتماعي والعلاقات الهرمية داخل المجتمع الجزائري، ففي هذا النمط الأسري، لا تمارس السلطة بشكل متساو بين جميع الأفراد، بل توزع وفق معايير السن، والجنس، والقرابة، والمكانة الرمزية داخل الجماعة العائلية، وغالبا ما يحتل الجد والجدة قمة الهرم الأسري حيث تنسب إليهما سلطة رمزية قائمة على الخبرة والذاكرة الجماعية والشرعية التقليدية، مما يجعل قراراتهما مرجعية أخلاقية واجتماعية داخل البيت، ويليهما في سلم السلطة الآباء،الذين يمارسون سلطة مباشرة تتعلق بضبط السلوك داخل الفضاء المنزلي، أما الأعمام فيمثلون امتدادا للسلطة الأبوية خاصة في المجتمعات التي تقوم على التضامن الذكوري والقرابة العصبية، حيث يشاركون في مراقبة النظام الأسري وحماية القيم الجماعية.

في المقابل، تمارس سلطة الأمهات داخل مجال مختلف إذ ترتبط غالبا بالفضاء الداخلي للبيت وبإدارة الشؤون المنزلية والتنشئة الاجتماعية للأبناء، ورغم أن هذه السلطة تبدو غير رسمية إلا أنها تعد فعالة ومؤثرة في إعادة إنتاج القيم والمعايير الاجتماعية، خاصة من خلال التنشئة اليومية والضبط غير المباشر للسلوك، أما الإخوة الذكور فيحصلون على مكانة تفضيلية داخل المنزل مقارنة بالفتيات، حيث يمنحون هامشا أوسع من الحركة والقرار، وينظر إليهم بوصفهم امتدادا مستقبليا للسلطة الذكورية، في حين تخضع الفتيات لرقابة أشد، ويربط حضورهن داخل البيت بمعايير الشرف والسمعة العائلية، مما يحد من استقلاليتهن داخل الفضاء المنزلي، وهذا نموذج لتوزيع الأدوار في المنزل وعلاقة الحرية به والشكل التالي يوضح الترتيب الهرمي للمكانة في المنزل.

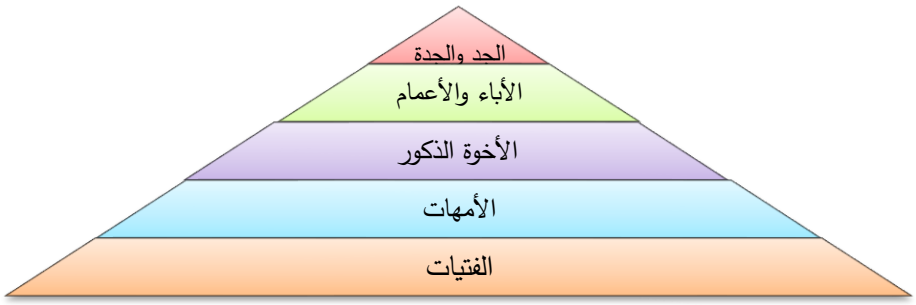

الشكل رقم (01): يمثل الترتيب الاجتماعي في المجتمع الجزائري حسب الجنس[43]

2- **البيت كفضاء للاستقلالية:**

يرتبط البيت ارتباطا وثيقا بمفهوم الاستقلالية، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي، فامتلاك بيت أو سكن مستقل يعد مؤشرا على النضج الاجتماعي وتحقيق الذات، ويرتبط غالبا بمراحل انتقالية في دورة الحياة مثل الزواج أو الاستقرار المهني خاصة في المجتمعات الحضرية، وتعكس أنماط السكن الحديثة تحولات عميقة في بنية الأسرة، حيث انتقل المجتمع من نموذج الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية، وقد أدى هذا التحول إلى إعادة تعريف متغيري الحرية والاستقلالية، وإلى تغير أشكال التضامن الأسري ومسؤوليات الأفراد داخل البيت.

وما شرحناه في المثال السابق حول هرم السلطة داخل الأسرة الممتدة، يبين بوضوح مدى تأثير هذا التنظيم الهرمي في مستوى الحرية داخل المنزل، حيث تكون حرية الأفراد محدودة ومشروطة بموقعهم داخل النسق الأسري، فكلما كان الفرد في مرتبة أدنى ضمن هذا الهرم تقلص هامش حريته في اتخاذ القرار وفي الحركة والتعبير داخل الفضاء المنزلي، غير أن نمط السكن العصري قد أسهم في تقليص أغلب هذه المظاهر التقليدية

[43] حليمة لغريب، مرجع سابق، ص 79.

للسلطة، من خلال تفكيك بنية الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النووية أو السكن الفردي، وقد أتاح هذا التحول إعادة توزيع الأدوار داخل المنزل ومنح الأفراد ولا سيما النساء والشباب استقلالية أوسع في تسيير شؤونهم اليومية واتخاذ قراراتهم الخاصة بعيدا عن الرقابة الجماعية المباشرة.

وبذلك لم يعد البيت في السياق الحضري الحديث فضاء لإعادة إنتاج السلطة التقليدية بالدرجة نفسها، بل أصبح مجالا لإعادة التفاوض حول الحرية والاستقلالية، حيث تتداخل القيم الفردية مع أنماط العيش الحديثة مما يعكس تحولات عميقة في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الحضري.

3- البيت كفضاء للحضور الاجتماعي:

إلى جانب كون البيت فضاء خاصا فهو يؤدي دورا مهما في الحضور الاجتماعي، فهو يعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية لأصحابه من خلال موقعه ونمط بنائه وطريقة تنظيمه الداخلي، كما يعدالبيت فضاء لتمثيل الهوية الثقافية حيث تظهر القيم والتقاليد في أساليب التأثيث والزينة، ويعتبر استقبال الضيوف أحد أبرز مظاهر الحضور الاجتماعي للبيت، إذ يتحول من فضاء خاص إلى فضاء شبه عام تمارس فيه طقوس الضيافة وتبنى العلاقات الاجتماعية ويعاد إنتاج الاعتراف الاجتماعي.

المحاضرة العاشرة: الفضاء العمومي

يعد الفضاء العمومي أحد المفاهيم المركزية في الأنثروبولوجيا الحضرية، إذ يشير إلى تلك المجالات المشتركة التي يلتقي فيها الأفراد خارج نطاق البيت مثل الشوارع، والساحات، والأسواق، والحدائق، والمقاهي، ولا يفهم الفضاء العمومي بوصفه حيزا ماديا فقط، بل باعتباره فضاء اجتماعياتمارس داخله العلاقات وتعاد فيه صياغة القيم والمعايير الاجتماعية.

ويعرف الفضاء العمومي على أنه عبارة عن حيز مكاني مفتوح، واسع الأرجاء وملك لجميع الأفراد على اختلافالأعمار و الأجناس، كذلك هو ذلك المكان المخصص للتجمهر قصد التعبير عن انشغالات الحياة اليومية وكذا ممارسة الحريات بما تسمح به المعايير والقيم، وعن معاني هذا المصطلح كتبت الباحثة الجزائرية يمينة رحو مايلي: " إن مصطلح فضاء عمومي يجمع العديد من المعاني،يعني بالمرة فضاء رمزي ومادي، الفضاء الرمزي كفضاء للمحادثة والنقاش والتعبير عن الرأي العام، والفضاء المادي بالمعنى المكاني، كحيز للتبادل والاستعمال المشترك، على غرار الأمكنة، الحدائق، المتنزهات، الأسواق وأماكن أخرى لممارسة أنشطة متنوعة من طرف الجماعات ".[44]

يمثل الفضاء العمومي مجالا للحضور الاجتماعي والتفاعل اليومي، حيث يظهر الأفراد بهوياتهم المتعددة ويتفاوضون حول المكانة والانتماء وحدود السلوك المقبول، كما يعد فضاء تمارس فيه أشكال من الرقابة الاجتماعية غير الرسمية، من خلال النظرة، والتعليق، والتقييم الجماعي، مما يؤثر في سلوك الأفراد خاصة النساء والشباب.

[44] بن شعيبي محمد، المرأة الجزائريّة بين الفضاء الأسري و الفضاء العمومي،التحوّلات والنتائج، مجلة المواقف، المجلد 19، العدد 1، 2023، ص ص 116-129.

وفي المقابل يمكن للفضاء العمومي أن يكون مجالا للتعبير والمطالبة بالحقوق ومسرحا للممارسات الثقافية والسياسية مثل الاحتجاجات، والاحتفالات، والتجمعات الجماعية، غير أن درجة الانفتاح والحرية داخل هذا الفضاء تختلف باختلاف السياق الثقافي، والتنظيم العمراني، والعلاقات السلطوية التي تحكم المجتمع.

وانطلاقا مما تمت معالجته في المحاضرات السابقة حول البيت باعتباره فضاء للحرية والاستقلالية والحضور الاجتماعي والمحاضرات السابقة لها، يتبين أن الفضاء العمومي لا يمكن تحليله بوصفه مجالا منفصلا أو مستقلا عن الفضاء المنزلي، بل كامتداد له ومكمل لوظائفه الاجتماعية والرمزية، فالبيت يشكل المجال الأول لتنشئة الأفراد على قواعد السلوكوضبط الجسد وحدود الحرية، وهي القواعد نفسها التي يحملها الفرد معه عند خروجه إلى الفضاء العمومي.

وقد أظهرت المحاضرات السابقة أن البيت خاصة في إطار الأسرة الممتدة يعد فضاء لإعادة إنتاج علاقات السلطة والتراتبية الاجتماعية، حيث تتفاوت درجات الحرية تبعا للجنس والعمر والمكانة داخل النسق الأسري، وتنعكس هذه التراتبية بشكل واضح في الفضاء العمومي إذ لا يحضر الأفراد فيه بالطريقة نفسها ولا يتمتعون بالقدر ذاته من حرية الحركة أو التعبير، فحضور المرأة على سبيل المثال يظل في كثير من السياقات مشروطا بمعايير أخلاقية ورمزية تم ترسيخها داخل الفضاء المنزلي.

وفي المقابل ساهم التحول نحو نمط السكن العصري والأسرة النووية في إعادة تشكيل العلاقة بين الخاص والعام، حيث أصبح البيت مجالا لاكتساب استقلالية أكبر خاصة لدى الشباب والنساء، وهو ما انعكس على أنماط استعمال الفضاء العمومي، فقد توسع هامش الحركة وتنوعت أشكال الحضور الاجتماعي، وأصبحت العلاقة بالفضاء العمومي قائمة على التفاوض بدل الخضوع المطلق للضبط التقليدي.

ويعد الفضاء العمومي كذلك مجالا تمارس فيه أشكال أخرى من السلطة والرقابة تختلف عن تلك التي يمارسها البيت، فبدل السلطة الأسرية المباشرة تظهر سلطة النظرة الاجتماعية والقوانين والتنظيمات الحضرية مما يجعل الفرد ينتقل من ضبط عائلي إلى ضبط اجتماعي أوسع، ومن هنا فإن الحرية في الفضاء العمومي ليست مطلقة بل تظل محددة بإطار ثقافي ومؤسساتي.

وبذلك، يتضح أن دراسة الفضاء العمومي تكمل ما تم تناوله في المحاضرات السابقة حول البيت، إذ تسمح بفهم دينامية الانتقال من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام، وكيفية تشكل الحضور الاجتماعي للأفراد داخل المدينة، فالمدينة في هذا السياق ليست مجرد تجمع عمراني بل فضاء اجتماعي تتقاطع فيه السلطة والحرية والهوية مما يجعل تحليل الفضاء العمومي مدخلا أساسيا لفهم التحولات الحضرية المعاصرة.

المحاضرة الحادي عشر: الحمام كفضاء اجتماعي

دراسة الحمام كفضاء اجتماعي هو موضوع مهم يعكس علاقة الإنسان بالمكان والتقاليد الثقافية التي تنبثق منه. يعتبر الحمام مكانًا للاغتسال والاستحمام، ولكنه في الوقت نفسه يشكل جزءًا من الهوية الاجتماعية و الثقافية للكثير من المجتمعات حول العالم. في العديد من الثقافات، يشمل الحمام ليس فقط طقوس النظافة الجسدية، بل أيضًا جوانب اجتماعية، نفسية، وروحية ترتبط بالعلاقات بين الأفراد والمجتمع. والحمام ليس مجرد مكان للنظافة الجسدية، بل هو فضاء اجتماعي و ثقافي يعكس الكثير من التقاليد والعادات الخاصة بكل مجتمع.

تعريف الحمام: الحمام هو مكان مخصص للاستحمام والنظافة الشخصية، حيث يتم فيه غسل الجسم وتنظيفه باستخدام الماء. لكن، يتعدى دوره في بعض الثقافات كفضاء للنظافة الجسدية إلى كونه فضاء اجتماعيًا و ثقافيًا مهمًا. في العديد من المجتمعات، يعتبر الحمام مكانًا يجتمع فيه الناس للتفاعل الاجتماعي، وهو يحمل دلالات رمزية تتعلق بالنظافة الجسدية والروحانية.

1. الحمام في السياق الثقافي:

الحمام يُعد من الأماكن التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالثقافة الشعبية والتقاليد الاجتماعية، حيث يتجاوز دوره في بعض الأحيان كفضاء للنظافة إلى كونه مكانًا اجتماعيًا للتفاعل بين الأفراد. يرتبط الحمام في العديد من الثقافات برمزية خاصة تشمل:

- **التطهير الروحي والجسدي** :في العديد من الثقافات، يُعتبر الاستحمام في الحمام ليس فقط نشاطًا جسديًا ولكن أيضًا طقوسًا دينية أو روحية تهدف إلى **التطهير** أو **الاسترخاء**.

- **التفاعلات الاجتماعية** :في المجتمعات التي تحظى بالحمام كمكان اجتماعي (مثل الحمام التركي، الحمام العربي التقليدي، الحمام الروسي)، يعتبر هذا المكان بيئة لتقوية العلاقات الاجتماعية وتبادل الأحاديث، حيث يُجمع أفراد من مختلف الأعمار والخلفيات في مكان واحد، ما يعزز **التواصل والتفاعل**.
- **الحمام كرمز اجتماعي** :في بعض الأحيان، يُستخدم الحمام كرمز للهوية الثقافية، أو حتى كرمز للطبقات الاجتماعية. في بعض المجتمعات، كان الحمام في الماضي مكانًا تميزًا لفئات معينة من الناس.

2. **الحمام كفضاء في الأنثروبولوجيا:**

الحمام في الأنثروبولوجيا ليس مجرد مكان لغسل الجسد، بل هو **فضاء اجتماعي** يعكس الكثير من جوانب الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية. يدرس الأنثروبولوجيون الحمام من زوايا عدة:

- **المكان والرمزية** :الحمام كفضاء يكتسب دلالة رمزية متعلقة بالتنظيف والطهارة، ولكنه قد يمثل أيضًا مواقف اجتماعية مثل الرفاهية أو الطبقات الاجتماعية المختلفة. في بعض الحالات، يعكس الحمام القيم **الدينية**)مثل الطهارة في الإسلام أو الطقوس المسيحية)، بينما في حالات أخرى يمكن أن يكون جزءًا من **الثقافة الشعبية**.
- **الأنثروبولوجيا الثقافية** :في العديد من المجتمعات، يشكل الحمام مكانًا للحميمية الاجتماعية. في السياقات المجتمعية التقليدية، مثل الحمام التركي أو الحمام العربي، تُعد لحظات الاستحمام اجتماعية في المقام الأول. إذ يُستخدم الحمام لمشاركة القصص، والنميمة، والتواصل بين الأفراد من مختلف الفئات.

- **الحمام والطبقات الاجتماعية** :في العديد من الثقافات، هناك فارق بين **الحمامات العامة** و **الحمامات الخاصة** .الحمام قد يعكس **الطبقات الاجتماعية**، حيث قد تكون الحمامات العامة مكانًا للفقراء أو للعامة، بينما قد تكون الحمامات الخاصة مكانًا للأثرياء.
- **الحمام في التحولات المعاصرة** :تطور الحمام في العصر الحديث، حيث انتقلت بعض الأنماط التقليدية في الحمامات العامة إلى الحمامات الخاصة (مثل الاستحمام في المنازل)، ولكن في نفس الوقت قد استمر الحمام كجزء من **الفضاءات السياحية** في بعض الثقافات. يدرس الأنثروبولوجيون كيف يؤثر التحديث و العولمة على الحمام كمؤسسة ثقافية، وكيف تُحفظ بعض الطقوس التقليدية بينما يُتغير البعض الآخر.

3. الحمام كفضاء اجتماعي:

في العديد من الثقافات، كان الحمام يشكل جزءًا من الحياة الاجتماعية اليومية. يمكن أن يكون هذا المكان موقعًا للمحادثات، حيث يلتقي فيه الأفراد من مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية لتبادل الأخبار والأحاديث. في الثقافات التي تحتوي على الحمام التقليدي، يتم تشكيل روابط اجتماعية وجماعية من خلال الأنشطة المشتركة في الحمام، مثل:

- **الأنشطة الجماعية** :في بعض المجتمعات، كانت النساء على سبيل المثال تجتمع في الحمام للتفاعل الاجتماعي، التحدث، وتبادل الأسرار أو حتى التسلية. كان الحمام مكانًا لتحفيز التفاعل الاجتماعي وتخفيف الضغط الاجتماعي.

- **الحمام كفضاء للتجديد** :الحمام قد يمثل أيضًا مكانًا للتجديد الذاتي. في بعض الثقافات، يعتبر الذهاب إلى الحمام فرصة للراحة النفسية أو الروحية، حيث يلتقي الفرد مع نفسه بعيدًا عن ضغوط الحياة اليومية.

4. **الحمام كمؤسسة ثقافية وتاريخية:**

الحمام في العديد من الحضارات (مثل الحضارة الرومانية، العثمانية، أو العربية الإسلامية) كان له دور تاريخي وثقافي كبير:

- **الحمام الروماني** :كان الحمام الروماني جزءًا من الحياة اليومية لدى الرومان، حيث كان الحمام لا يقتصر على الاستحمام فقط، بل كان مركزًا للراحة الاجتماعية والتسلية.
- **الحمام التركي والعربي** :يميز الحمام التركي والعربي تقديمه لمفهوم الحمام التقليدي الذي لا يقتصر فقط على عملية الغسل، بل يشمل أيضًا الجوانب الاجتماعية، العلاجية، والاستجمامية. في بعض البلدان، كانت هذه الحمامات جزءًا من ثقافة الاسترخاء والتواصل المجتمعي.

5. **الحمام والمجتمع المعاصر:**مع دخول الحداثة والـ العولمة، تغيرت بعض هذه المفاهيم التقليدية للحمام. الحمامات الخاصة أصبحت أكثر شيوعًا، وظهرت المنتجعات الصحية (السبا)، والتي تمثل تطورًا معاصرًا للحمام التقليدي. ولكن مع ذلك، لا يزال مفهوم الحمام التقليدي موجودًا في بعض الثقافات كرمز للهوية الثقافية أو الاجتماعية، ويعكس تجديدًا للعلاقات الإنسانية والروحية
6. **الحمام والتحولات في العصر الحديث:** مع تطور التكنولوجيا وتحول أسلوب الحياة، بدأ العديد من الناس في استخدام الحمام ليس فقط كفضاء نظافة، بل أيضًا كجزء من أسلوب الحياة العصرية

الذي يرتبط بـ الرفاهية و الاستجمام، حيث أصبح مرتبطًا بصناعة السبا والاسترخاء. يُنظر إلى الحمام اليوم في العديد من الثقافات كأداة للعلاج الجسدي والنفسي، وهو ما يعكس تطور النظرة الثقافية نحو العناية الشخصية في المجتمعات الحديثة.

7. وظائف الحمام:

1. **النظافة الشخصية** :الوظيفة الأساسية للحمام هي توفير مساحة للاستحمام وتنظيف الجسم باستخدام الماء.
2. **الاسترخاء والعلاج** :في بعض الثقافات، يُعتبر الحمام مكانًا للاسترخاء والعلاج، حيث يُستخدم للراحة النفسية أو لأغراض علاجية مثل حمامات البخار.
3. **الوظيفة الاجتماعية** :في العديد من المجتمعات التقليدية، يمثل الحمام مكانًا لتبادل الأحاديث والاجتماعات الاجتماعية، خاصة في الحمامات العامة التي تجمع أفرادًا من مختلف الفئات الاجتماعية.
4. **الرمزية الثقافية والدينية** :في بعض الثقافات، يكتسب الحمام دلالات روحية ودينية، حيث يُنظر إليه كمكان للتطهير الروحي بالإضافة إلى النظافة الجسدية. هذا يظهر في الطقوس مثل الاغتسال قبل الصلاة في الإسلام، أو الاغتسال كطقوس تطهير في الثقافات الأخرى.
5. **المكان العام والخاص** :الحمام قد يكون مكانًا عامًا يُستخدم من قبل أفراد المجتمع بشكل جماعي (كما في الحمام التركي أو الحمام العربي التقليدي)، أو قد يكون مكانًا خاصًا داخل المنازل.

8. أنواع الحمام:

- **الحمام الخاص** :يوجد داخل المنازل أو الشقق ويُستخدم من قبل أفراد الأسرة.

- **الحمام العام** :يُستخدم من قبل العامة ويُعتبر جزءًا من الحياة الاجتماعية في بعض الثقافات التقليدية.
- **الحمام العلاجي** :يُستخدم للراحة أو الاستشفاء، مثل المنتجعات الصحية أو الساونا.

الحمام كفضاء أنثروبولوجي هو أكثر من مجرد مكان للنظافة؛ إنه يمثل فضاء اجتماعيًا، ثقافيًا، وروحيًا يعكس الكثير عن الهويات الثقافية والتفاعلات الاجتماعية في مختلف المجتمعات. يدرس الأنثروبولوجيون الحمام ليس فقط كمساحة مادية، بل كمؤسسة ثقافية لها دلالات عميقة تتراوح بين التطهير الروحي و الراحة الاجتماعية.

المحاضرة الثاني عشر: الأسواق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي

الأسواق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي هي موضوع هام في الأنثروبولوجيا، حيث تعتبر الأسواق مكانًا يتقاطع فيه العديد من الجوانب الثقافية، الاقتصادية، والاجتماعية للمجتمع. تُعد الأسواق فضاءات حيوية تلعب دورًا أساسيًا في تنظيم التفاعلات الاجتماعية وتشكيل الهويات الثقافية. إنها ليست مجرد أماكن للتبادل التجاري، بل هي أيضًا مؤسسات ثقافية تلعب دورًا في بناء العلاقات الاجتماعية وفهم الهويات الاجتماعية.

فضاء السوق هو المكان أو البيئة التي يتم فيها التبادل التجاري للسلع والخدمات بين البائعين والمشترين. ولكنه ليس مجرد مكان للتجارة المادية فقط، بل هو فضاء اجتماعي وثقافي يجتمع فيه الأفراد من خلفيات اجتماعية مختلفة لتبادل المنتجات والأفكار. يختلف فضاء السوق بناءً على نوع السوق (تقليدي، حديث، حضري، ريفي) ويعكس التفاعلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمع.

وهو أكثر من مجرد مكان للتبادل التجاري؛ هو فضاء اجتماعي وثقافي يعكس العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع. يُعتبر مكانًا هامًا للتفاعل والتبادل بين الأفراد، ويلعب دورًا أساسيًا في تنظيم الحياة اليومية في المجتمعات المختلفة. كما لا يمكن أن نغفل على أن الأسواق هي جزء من ممارساتنا اليويمة، فشراء أو بيع أو تسوق وتبضع هو شيء ضروري للحياة، ولكن يجب أن نتساءل عن ظروف نشأة الأسواق بطابعها الخاص هذا وكيف يستغل الفضاء هنا؟.

1. مفهوم السوق:

1.1. تعريف السوق لغة:

وردت لفظة السوق في معجم لسان العرب "لابن منظور" أن السوق هو موضع البياعات، ابن سيده، السوق التي يتعامل فيها حيث تذكر وتؤنث[45]. والجمع أسواق، ويقال تسوق القوم إذ باعوا واشتروا، ويقصد بالسويقة- تصغير السوق- التجارة، فيقال: "إذ جاءت سويقة أي تجارة، فتجلب إليها وتساق المبيعات نحوها[46].

تتنوع المفردات المقابلة لمفردة السوق في اللغات العالمية بين "بازار" أو "وازار" في الفارسية، وفي الفرنسية bazzar أو marché، ثم دخلت عليها لفظة suq ou souk للدلالة على السوق الشعبي. وتستعمل في العربية كلمة بازار لكن اللفظة العربية المستعملة في البلاد العربية هي "السوق". ويرى الباحث **فرنكل** أنلفظة "بازار"التي استعملت في الأرياف والقرى مأخوذة من اللغة الآرامية[47]، وتستعمل فيها لفظة "suq/ suqà"[48]. والسوق هو المكان الذي يلتقي فيه عرض سلع أو خدمات من جهة، وطلب قادر على التسديد بالمال من جهة أخرى[49].

2.1. تعريف السوق الشعبي اصطلاحا:

إن السوق الشعبي هي فضاء تفاعلي ومكان اجتماعي يجتمع فيه الأفراد في أوقات معينة ومعلومة يندرج ضمن المعرفة بالحياة اليومية. يعد مكانا للمبادلات الاقتصادية كنمط غالب على التفاعلات المقامة على مستواها إضافة لمبادلات اجتماعية وثقافية تظهر على مستوى السوق. وتم تعريفه على **أنه "معرض يقام في مساحة مفتوحة في الهواء الطلق وغير ثابت، وعادة ما ينعقد أسبوعيا"**[50]، وقد تتغير زمنيته بين سوق يومي أو

---

[45]ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ،بيروت، ص 2154.

[46]المرجع نفسه.

[47]مجموعة من المؤلفين، **البازار: السوق في التراث الإسلامي**، سلسلة الدراسات الحضارية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ب.ت، ص 13.

[48]**مرجع نفسه**، ص14.

[49]قدور ميداني، **الخصوصية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسوق: دراسة أنثروبولوجية بسوق سيدي خطاب**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، الجزائر، 2018، ص59.

[50]Mohamed Diouri, **Chroniques de souk**, L'Harmattan, Paris, 2012, p12.

أسبوعي أو موسمي.فهو مفتوح للجميع للبيع والشراء والتفاعل. إذ يعتبر السوق وحدة اقتصادية وجغرافية وذلك المكان الذي يلتقي فيه الباعة والزبائن لسلعة معينة وفي وقت معين، وفي ضوء هذا اللقاء يتحدّد سعر السلعة على أساس حجم التعاملات التجارية[51]. أي انحصر تعريف السوق في الممارسات الاقتصادية ذان المنطق البراغماتي الرامية لتعظيم الكسب والأرباح.

2. ظروف وعوامل نشأة الأسواق (الأماكن التجارية):

- **الموقع الاستراتيجي:** والذي يعد أحد العوامل التي أسهمت في نشوء الأسواق، وتكاثرها، فالموقع مهما كانت صفته (بري، بحري، جوي) يكسب الفضاء أو الموقع ميزة سهلة للذهاب والعودة والتسويق والتبضع.
- **الطرق والمواصلات:** إن وجود التبادل التجاري مرهون بشبكة المواصلات ، حيث تساهم هذه الشبكة في نمو وتطور صيغة التبادل الواحد إلى صيغة الأسواق المتعددة الأنماط والأنشطة.

3. النظريات الأنثروبولوجية المفسرة للسوق:

1.3 الاتجاه المادي:

تغلب النظرة المادية في التراث الأنثروبولوجي عند دراسة السوق، وظهرت في الأنثروبولوجيا الاقتصادية عدة نظريات تقارب السوق اقتصاديا وماديا كالاتجاه الجوهراني الذي يركز على دور العلاقات في تعظيم ما هو مادي في السوق و الاتجاه الشكلاني الذي ينظر للسوق وفق بنيته الشكلية وما يضمه من وسائل وسلع، ثم التوجه الماركسي الذي يرى أن الاقتصادي يمثل بناء فوقي مهم يرتكز عليه ظهور السوق وبقاؤه وما يترتب عن ذلك من

[51]علي محمد التير وآخرون، **التحليل المكاني للأسواق الدورية الأسبوعية ببلدية زليتن**، مجلة كلية الآداب، العدد 15، 2020، ص 128.

جوانب ثقافية ورمزية واجتماعية أخرى تبتع البناء الفوقي الاقتصادي، إضافة للمادية الإيكولوجية التي ارتكزت في نظرتها على مقاربة وسطية تجمع بين الوظيفة الاقتصادية والتأثير الإيكولوجي والمعارف الثقافية في تشكل السوق ووظيفته وتنوعه من منطقة لأخرى. لكن رفض بعض الأنثروبولوجيين اختزال السوق الشعبي في وظيفته الاقتصادية فقط، بل يجب مقاربته وفقة منظور اجتماعي باعتباره ظاهرة اجتماعية يستوجب فهمها وفق ذلك.

2.3 الإتجاه البنائي وظيفي:

إن التبادل القائم على مستوى الأسواق الشعبية يجمع بين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فنظر **مالينوفسكي (Malinowski)** لهذا السوق من زاوية ثقافية، ويمكن فهم مقاربته للسوق من خلال نظام الكولا الذي درسه واستنتجه. وبتطبيق نظريته الوظيفية على السوق يرى أنه ظاهرة اجتماعية تحقّق حاجة ثقافية واجتماعية ونفسية، من خلال تغييب الانسان البدائي لروح السوق المنتشر في المجتمعات الغربية، حيث ترتكز المجتمعات البدائية في السوق على التبادل الرمزي للثروة وتغييب كل ما هو مادي[52]. حاول **مالينوفسكي (Malinowski)** ترجيح كفة الثقافي والاجتماعي على حساب الاقتصادي باعتبار أن الإنسان البدائي يميل للترميز والعقل الخرافي بدل العقلانية والبحث عن تعظيم الثروة. وهو ما رفضه **إدموند ليتش**في رده على مالينوفسكي بقوله **"لماذا حلقة الكولا مستمرة في حين أنها تكون بلا فائدة نفعية؟"**[53].

3.3 . الإتجاه الرمزي:

[52]زهرة عباس، **نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية: قراءة في الإرث الأنثروبولوجي**، مجلة الحوار الثقافي، العدد 02، 2015، ص 234.

[53]المرجع نفسه.

ترى النظرية التأويلية الرمزية بزعامة **كليفورد غيرتز (Clifford Geertz)**أن السوق كمؤسة متكاملة لا يمكن فهمه في جانبه الاقتصادي ما يعد نظرة اختزالية لتعقد هذه المؤسسة، ولا فهمه في جانبه الوظيفي فقط كون السوق كمؤسسة متشابكة يتفاعل فيها كل من الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والرمزي ليعبر بذلك عن ثقافة المجتمع المحيطة به، رغم أن يقر بوجود بعض القوانين الكونية التي تحكم كل الأسواق، غير أنها لا تظهر بنفس الشكل في المجتمعات البدائية كما المجتمعات المعاصرة. وهو ما أدى به لدراسته لسوق "صفرو الشعبي" بالمغرب، والذي توصل فيه أن السوق الشعبي هو **"مؤسسة اقتصادية وثقافية واجتماعية تجمع بين مجموعة متنوعة من النظم الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية المتمحورة حول إنتاج واستهلاك السلع والخدمات، ويستحق الدراسة والتحليل على هذا الشكل"**[54].

حاول **كليفورد غيرتز** فهم السوق من مقاربة شمولية لمختلف جوانبه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بمدخل رمزي، دون إقصاء لمظهر على حساب آخر، فالسوق الشعبي حسبه فسيفساء اثنية ومؤسسة تؤثر وتتأثر بثقافة المجتمع المحيط به. وقداعتبر**كليفورد غيرتز (Clifford Geertz)** السوق الشعبي "**مواقع مكشوفة أو مغلقة كليا وجزئيا، يتم فيها التقاء العديد من فئات المجتمع...لتداول العديد من السلع والمنتجات التراثية والحرفية والمأكولات الشعبية والنباتات العطرية، التمور المنتجات الموسمية...الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، الماشية وغيرها"**[55]. فالسوق حسبه مكان لتبادل المنتجات السلعيةالمحلية ومكان للتبادل الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع.

---

[54] Clifford Geertz1, **Sūq: Geertz on the Market**, Edited and introduced by Lawrence Rosen, Hau Books, Chicago, 2022, p 01.

[55]محمد لعاقل، **السلطة العرفية وعلاقتها بالعنف في الأسواق الشعبية**، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، العدد 05، 2015، ص05.

4. أنوع الأسواق وأشكال التبادل القائم فيها:

1.4 أنواع السوق:

تتعدد أنواع الأسواق الشعبية التي تمثل فضاءات عامة متاحة للجميع بين وظيفتها وزمنية انعقادها وشكلها، فنجد منها:

- **حسب الوظيفة:**هي أسواق تعرف بنوعية السلع المباعة فيه والتي تختص بجانب سلعي معين، كسوق الخضر والفواكه، سوق الملابس، سوق التفاح، سوق الماشية، سوق السيارات...إلخ، فيلتقي فيها الناس باعتبارها فضاءات ذات وظيفة محددة تحددها نوعية السلع المتداولة فيها وتكون فيها الحاجة مشتركة بين مرتادي هذه الأسواق.
- **حسب زمن انعقادها:** نجد منها "**أسو اقا يومية**" تنعقد بشكل يومي وتكون غالبا في المحيط الحضري والمديني أين ترتكز نسمة عالية من السكان، وتبقى مفتوحة للجميع بشكل يومي كسوق "الزقاق" في بسكرة أو "سوق العصر" في باتنة. ثم "**أسواق أسبوعية**" وهي النمط الشائع والأكثر حضورا في مختلف المناطق الريفية أو الحضرية، وتنعقد في يوم محدد من الاسبوع، وغالبا تأخذ تسميتها من اليوم الذي تنعقد فيه كسوق الإثنين بأريس أو سوق الأربعاء..إلخ، وهي أسواق متنوعة السلع وتركز دزما على السلع الوظيفية التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية. ثم نجد "**أسو اقا موسمية**" وهي أسواق تنعقد مرة كل عام في موسم محدد، عاة تتسم بقيمتها الرمزية والتاريخية أكثر من قيمتها المادية المباشرة، وتأخذ تسميتها عادة من موسمها الذي تنعقد فيه أو المنطقة المحيطة بها، وعلى عكس السوق الأسبوعي الذي ينعقد يوما واحد كل أسبوع، فقد تنعقد الاسواق الموسمية لعدة أيام متتالية ويكون فيها الحضور عاليا من كل المناطق، مثل سوق الخريف بتكوت الذي ينعقد بحتفال دخول فصل الخريف وتباع فيه السلع المحلية والمنتجات الفلاحية ويستمر انعقاده لثلاث أيام حتى أسبوع. أو سوق

سيدي خالد المشهور في منطقة الزيبان...إلخ. ثم نجد **أسواقا مفتوحة** تعقد في فضاءات مفتوحة وأماكن عامة، **وأسواق مغطاة**تعقد في أماكن مخصصة مغلقة أو في شوارع المدن الضيقة ويغطى سقفها كالرحبة.

2.4. أشكال التبادل داخل فضاء السوق:

- **التبادل الاقتصادي: السوق كمؤسسة اقتصادية:**

النمط الغالب على نشاء الأسواق الشعبية هو التبادل الاقتصادي للسلع المتداولة ضمنه فيقصده التجار والباعة والفلاحون وتنشأ علاقة اقتصادية بين التاجر والزبون تتوسط هذه العلاقة "السلعة". وتمتاز الاسواق بتوزيع الأنشطة في هذا الفضاء التجاري، فتتضمن بنية السوق تواجد أنشطة مختلفة تميل أكثر إلى التشتت والعشوائية لتصبح هذه الفوضى ثقافة تنظيمية لبنة الأسواق، من حيث عرض السلع والوسائل المعتمدة في العرض والبيع وطرق الدفع والمفاوضات التي تنشأ بين الزبون والتاجر...إلخ من المظاهرة المميزة للتبادل الاقتصادي في هذا الفضاء.

وتظهر مظاهر اقتصادية أخرى ضمن هذا الفضاء كتقسيم العمل الاجتماعي بين الباعة والحرفيين ضمن السوق، وينتظم هذا التقسيم وفق مبدأ التخصص حسب المجالات المهنية التي يمتلكها كل تاجر في السوق[56]. هذه المظاهر الاقتصادية المتعددة تميل لتشكيل نسق اقتصادي يؤدي عدة وظائف متداخلة مع بعضها البعض (تسويق، بيع، إنتاج، تفاوض)، والتي يرى فيها "**هافيلاند**" بأن "النسق الاقتصادي هي النظم التي يتم من خلالها إنتاج وتوزيع ةاستهلاك السلع، فمنذ أن كان الانسان مشغولا بالحث عن الوسائل التي تؤمن بقاءه

[56]بعلي محمد سعيد، **الحياة الجماعية وأماكن التعايش الاجتماعي ضمن فضاءات التبادل والتفاوض في الأسواق الأسبوعية**، أطروحة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، 2018، ص 82.

كان من الضروري أن ينتج ويوزع ةيستهلك، أي أن الانسان في محاولته للبحث عن أساليب يحفظ بها بقاءه كان لا بد أن يمارس أنشطة اقتصادية"[57]، ويجب فهه فضاء السوق بدراسة العناصر الاقتصادية المرتبطة بحياة الانسان داخل حياته الاجتماعية.

- **التبادل الاجتماعي: السوق فضاء للتفاعل الاجتماعي:**

يتميز السوق بكونه فضاءا مفتوحا لمختلف أشكال التفاعل الاجتماعي بين الحتضرين سواء بشكل أفقي بين الباعة/الباعة أو الزبون/الزبون، أو بشكل عمودي بين الباعة/الزبائن، وهذه المواقع الاجتماعية التي يشغلها الفاعلون الاجتماعيون حسب نظرة "بورديو" للفضاء لإانها تجمعهم أهداف مشتركة يميلون من خلالها لإشباع حاجات ورغبات مختلفة، بحيث يحكم كل حفل اجتماعي قوانين تتجسد في عقل الفاعلين ويمارسونها دون إدارك منهم كونهم مزودون بالهابيتوس فردي وجماعي كأنه راسمال مدمج ومولد بقوة أكثر مما هو تكرار العادة..[58]

يتميز هذا الفضاء بعدة مظاهر اجتماعية كصورة متداولة في الحياة الاجتماعية ضمن فضاء السوق، منها المناداة على السلع، تبادل الأخبار والأحوال الشخصية بين الزبائن والباعة وتناقل الاخبار بينهم، إعادة تعميق العلاقات الاجتماعية وتجديديها، عقد علاقات زبونية مع السوق ومع الباعة أيضا. وبدراسة المعرفة بالحياة اليومية يظهر كيف يبتدع الفاعلون سلوكات مختلفة للتفاعل بينهم، فالتركيز على أنثروبولوجيا الحياة اليومية يوضح كيف يبتدع البشر أنماط سلوكية متشابهة "متكررة نمارسها يوما بعد يوم، أسبوعا بعد أسبوع، شهرا بعد شهر، وسنة بعد أخرى، ومن الطبيعي أن أنماط السلوك التي ننتجها ونمارسها ليست متماثلة...وتتحرك

---

[57]سلوى السيد عبد القادر، **الأنثروبولوجيا الاقتصادية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2010، ص58.

[58]Pierre bourdieu, **question de sociologie**, ed de minuits, paris, 1980, p44.

فيها مشاعرنا وأفكارنا وأنماط سلوكنا في اتجاهات متشبعة لا حصر لها..."[59]، وبهذا تتنوع أنماط التفاعل والسوكات المعبرة والموجهة له ضمن السوق.

- **التبادل الثقافي الرمزي ضمن فضاء السوق:**

يرى "**غليفوردغيرتز**" في دراسته لسوق صفرو بالمغرب أن النسق الثقافي جزء رئيسي من ثقافة فضاءات الاسواق، كون أن الأسواق هي مرآة عاكسة لثقافة المجتمع التي تحتضنها، ولا يمكن فهم السوق دون فهم ثقافة المجتمع المحيطة به. فظهور الاسواق في أماكن معينة ثم انتقالها لمكان آخر، وكذا تعددها داخل الفضاءات الحضرية لا يؤدي فقط لانتقال الزبون أو التاجر لهذا الفضاء لتحقيق تبادل اقتصادي بل يحمل معه ثقافته وهويته وتراثه ومعرفته المحلية التي يبرزها في تفاعله داخل الأسواق، ويتبادل في ذات السياق قيما ثقافية من مجال إلى آخر وشأنه في ذلك شأن أي فاعل آخر يرتاد هذا الحقل[60].

إضافة لذلك يمكن تتبع بعض المظاهر الثقافية داخل السوق كاللغة المستعملة واللكنة التي يمكن من خلالها التعرف علة جهة انتماء الفرد ثم يتم تبادلها بين الأفراد، كذلك اللباس الذي يعد عامل هوياتي معبر عن هوية ثقافية للافراد منها هوية وظيفية للتاجر بلباس خاص بهم، وهوية اثنية للفاعلين في كثير من الاحيان. انتشار عناصر التراث المادي واللامادي في السوق والتفاعل معها يعد تبادلا ثقافيا من خلال التعريف بثقافة البخر ضمن هذا الفضاء نتيجة الحضور البشري الكبير المتوافد على الاسواق يوم انعقادها. وربما تعد اللغة لمتداولة والخطاب الاجتماعي والهوية الثقافية والجماعية وتأثير المقدس على الاسواق وعلى توجيه الاستهلاك من أهم مؤشرات التحليل الثقافي التي اعتمدها "غيرتز" لتحليل السوق وفق نسق ثقافي رمزي.

---

[59]أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، تر: فايز الصياغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بلبنان، 2005، ص 159.

[60]بعلي محمد سعيد، مرجع سابق، ص 105.

5. **أهمية فضاء السوق:**

- **إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية** :السوق يعزز الروابط بين الأفراد من خلال **التجارة** و **التفاعلات الاجتماعية**، وهو مكان يساهم في **بناء مجتمع** مستمر من خلال التبادل اليومي للسلع والأفكار.
- **عوامل اقتصادية** :يعد السوق جزءًا من الدورة الاقتصادية في المجتمع، حيث يمكن أن يعكس **الظروف الاقتصادية** ويؤثر على **الأسعار** و **العرض** و **الطلب**.

6. الأسواق الحديثة والأنثروبولوجيا:

مع تطور التجارة العالمية والعولمة، تغيرت الأسواق التقليدية بشكل كبير. الأسواق **العالمية** و **التجارة الإلكترونية** أصبحت جزءًا من الأسواق الحديثة. في هذا السياق، تدرس الأنثروبولوجيا كيف تؤثر هذه التحولات على **الهويات الاجتماعية** والاقتصادية، وكيف يتم دمج **التكنولوجيا** و **الأنماط التجارية العالمية** في الثقافة المحلية.

- **العولمة والمنتجات العالمية** : في الأسواق الحديثة، يمكن العثور على **المنتجات العالمية** التي تدخل إلى الأسواق المحلية. هذا يخلق **تداخلًا ثقافيًا** حيث تتداخل **السلع الأجنبية** مع السلع المحلية.

الأسواق الإلكترونية : في العصر الرقمي، أصبحت الأسواق الإلكترونية تشكل جزءًا من الحياة اليومية للعديد من المجتمعات، مما يغير طريقة التواصل التجاري ويؤثر في التفاعل الاجتماعي في الفضاءات التجارية.

سؤال: كيف يمكن أن يكون السوق فضاء اجتماعي ، اقتصادي، ثقافي أو سياسي؟

السوق هو مجال عام للتفاعل: يمثل السوق حقلا اجتماعيا، حيث يسمح هذا الفضاء بوجود فاعلين (متسوقون، بائعون، تجار، مستهلكون، عمال، ...) يتواصلون من خلال آلية البيع والشراء (العرض والاختيار) حينما يكون التفاعل والتعامل الاقتصادي بحث، وآليات أخرى لما يكون مظهر التفاعل غير اقتصادي مثل المشاهدة والاستمتاع والاستماع لبعض البائعين والعارضين للخدمات الثقافية والاجتماعية المتنوعة مثل: البراح، القلال، المغني، الذي يلتف حوله الناس (الاسواق الاسبوعية أو الشهرية وحتى الجهوية).

المحاضرة الثالثة عشر: الفضاء العمومي الافتراضي

لقد شكل الفضاء العمومي سابقا أداة للتواصل في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية، كما عهدته الشعوب والمجتمعات منذ اليونان إلى أمد ليس ببعيد، حيث اتخذت من الفضاء العام مسرحا لخطاباتها السياسية والدينية وللاحتفاء بالمناسبات المختلفة، واقامة المسرحيات وتقديم القطع الفنية، لكن اليوم "وفي ظل التطور العلميفي مجالات التقنية منح الفرد المعاصر أهم مكونات العصر من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، فكانت قفزة من الفضاء العمومي إلى الفضاء الافتراضي. ولقد اندمج الفرد العربي مثل بقية الأفراد مع هذه التقنية مواكبا في ذلك المجتمعات الغربية التي تعيش انسجاما مع المستجدات المعاصرة إلى حد كبير في حياتها اليومية والعلمية على حد سواء"[61].

بعض المفاهيم المهمة:

- **التواصل:** لغة هو: الاقتران والاتصال والصلة والترابط والجمع والاعلام، وهو اصطلاحا: يدل على عملية نقل الافكار وتبادل المعارف والمشاعر بين الأفراد والجماعات وقد يبنى على الموافقة او على الاختلاف باعتباره نقلا واعلاما، مرسلا ورسالة، يتفق في تسنينها كل من المتكلم والمستقبل[62]

- **التواصل الثقافي:** عبارة عن التفاعل الذي يتم بين أعضاء مختلفة مهما تراوحت ضآلة أو فخامة هذه الاختلافات، وهو يشمل عادة شخصا متصلا من ثقافة ما، ومتلقي من ثقافة أخرى.

---

[61] محمد وادفل، الفضاء الافتراضي عن طريق الفايسبوك والتواصل الثقافي في العالم العربي –مستقبل الثقافة العربية في العالم الافتراضي، التواصل الثقافي ودوره في تجديد افكر العربي، مجلة الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، إشراف وتقديم رشيد دحدوح، السداسي الأول، 2016، ص 478.

[62]. آيت عيسى فريدة المولودة دكار، الفضاء الافتراضي والتواصل الثقافي، أعمال مؤتمر التواصل الثقافي ودوره في تجديد الفكر العربي، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الطبعة الأولى، 2016، ص 436.

- **الفضاء العمومي:** يعرف يورغنهابرماسالفضاء العمومي على أنه: "فضاء للوساطة يقوم فيه الأفراد الخواص بالاستخدام العمومي للعقل بغية بناء توافق سياسي"[63].

أما إجرائيا: نقصد بالفضاء العمومي الحقل او المجال التي يتم التواصل فيه بين الأفراد، وتبادل فيه رؤى وآليات التوافق والرضا.

- **الفضاء الافتراضي:** بالرغم منشيوع مصطلح الفضاء الافتراضي، فإنه من الصعب على مستخدميه أن يجمعون على نفس المعنى لهذا المصطلح، ولكن يمكن أن يكون هذا التعريف الأقرب الاجماع وهو: إن الفضاء الافتراضي عالم يصنعه الحاسب الآلي، بحيث يمكن للإنسان التفاعل معه آنيا، بنفس الأسلوب الذي يتفاعل به مع العالم الحقيقي.

- **التفاعل الافتراضي:** يعتبر التفاعل الافتراضي الامتداد الحقيقي للاتصال الافتراضي الذي يرتبط بدور الانترنت الذي استقر في الممارسة اليومية لمستخدمي هذه الشبكة، فقد توسع نسيج الفضاء المعلوماتي وزاد من فروعه، وتحول الويب إلى أرضية رقمية لإنشاء فضاءات اتصالوتواصل من المدونة والدردشة إلى الفايسبوك.

- **المجتمعات الافتراضية:**نعني به جماعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية أو أواصر عرقية ودينية وسياسية، يتفاعلون عبر مواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطورون فيما بينهم شروط الانتساب إلى جماعة وقواعد الدخول وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها، هذا التعريف حسب كتاب انجليزي (Reinold).

[63]. نصر الدين لعياضي، فضاء عمومي أم مخيال اجتماعي – مقاربة لتمثل التلفزيون في المنطقة العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، سنة 2014، ص 31.

أما اجرائيا: نشير إلى أنه، عندما نتحدث عن المجتمعات الافتراضية، فإننا نقصد مجموعة مجتمعات حقيقية تشكلت في الفضاء الافتراضي على الويب.

تعريف الفضاء العمومي الافتراضي: هو الفضاء الذي يتشكل على الإنترنت، ويتيح للأفراد التفاعل والتواصل بحرية في بيئة رقمية. هذا الفضاء هو امتداد للمفهوم التقليدي للفضاء العمومي الذي كان يشمل الأماكن العامة في المدن حيث يتجمع الناس للتفاعل وتبادل الآراء، ولكن مع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبح بالإمكان تكوين فضاء عمومي افتراضي يعبر عن تفاعل اجتماعي وثقافي في بيئة رقمية.

1- التواصل والاتصال ضمن الفضاء العمومي:

شكل مفهوم الفضاء العمومي قاعدة بحثية في شتى المجالات، ولأن الاتصال والتفاعل هو البعد المركزي والقيمي لهذا المفهوم، فقد شملته المقاربات التواصلية الاتصالية التي تعتمدها علوم الاعلام والاتصال، لرصد تمظهرات الفضاء العمومي وسياقات حضور التفاعل والحوار وأبعادهما خاصة في ظل انتشار الدراسات الإعلامية والاتصالية وتوسعها، ونفس الأمر ينطبق على البحوث التي تعنى بالسياقات الرقمية.

ساهمت الثورة الاتصالية والتكنولوجيات الجديدة لوسائل الاعلام الالكترونية وعلى رأسها الانترنت، في ظهور فضاء عام اجتماعي جديد يخضع لمثالية هابرماس، لكن مع تراجع وسائل الإعلام التقليدية في المشاركة في المجال العام في المجتمع على نطاق تمكين المواطنين من تشكيل آرائهم، دعم الانترنت فكرة ساحات النقاش حول المجال العام المشترك، حيث منح امكانية التفاعل حول القضايا التي يهتمون بها، وبذلك شكل الفضاء العمومي رؤية جديدة لمفهوم الحوار والتواصل، وأعاد أو أعطى نفسا جديدا للديمقراطية محورها التواصل والحوار والاتصال والتفاعل.

الخصائص الرئيسية للفضاء العمومي الافتراضي:

الرقمية والعالم الافتراضي: الفضاء العمومي الافتراضي يعتمد على الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية. يشمل مواقع التواصل الاجتماعي، المنتديات، المدونات، التطبيقات، وحتى الألعاب الإلكترونية.

في هذا الفضاء، يمكن للأفراد المشاركة في النقاشات العامة، تبادل الآراء، وتنظيم الأحداث الافتراضية.

حرية التعبير والتفاعل: يتمتع الأفراد في الفضاء العمومي الافتراضي بفرص أكبر للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بشكل عام وأكثر **حرية** من الفضاءات التقليدية.

هذا الفضاء يمكّن من التواصل المباشر بين الأشخاص بغض النظر عن مكانهم الجغرافي، مما يسهل التفاعل بين جماعات متنوعة ثقافيًا واجتماعيًا.

الفضاء الديمقراطي: يعتبر الفضاء العمومي الافتراضي منبرًا يسمح للجميع بالمشاركة، ويمكن أن يعزز **الديمقراطية** من خلال تمكين الأفراد من المناقشة العامة حول القضايا السياسية، الاجتماعية، والثقافية.

مواقع مثل **تويتر**، **فيسبوك**، و**اليوتيوب** تشكل منصات يتم فيها تداول المعلومات والأفكار بشكل سريع، مما قد يسهم في تكوين رأي عام أو حركات اجتماعية.

تعدد الأنماط والاتجاهات: يتيح الفضاء العمومي الافتراضي للعديد من الأصوات، من **الأفراد** إلى **المؤسسات**، أن تكون حاضرة ومتفاعلة في نفس الوقت. يمكن أن تتراوح هذه الأصوات من آراء عامة إلى مشاركة منظمات سياسية أو ثقافية.

المشاركة غير المحدودة زمانيًا ومكانيًا: إحدى أهم خصائص الفضاء العمومي الافتراضي هي أنه **غير محدود بالزمان والمكان** .في العالم الافتراضي، يمكن للأفراد في أي وقت وفي أي مكان أن يشاركوا ويتفاعلوا مع المحتوى.

دور الفضاء العمومي الافتراضي في المجتمع:

منبر للمناقشة العامة: يعزز الفضاء الافتراضي مناقشة القضايا العامة والمجتمعية. على سبيل المثال، يتم من خلاله تبادل الأفكار حول **السياسة، التكنولوجيا، المساواة، والبيئة**.

تأثير وسائل الإعلام الاجتماعية: وسائل الإعلام الاجتماعية تشكل عنصرًا رئيسيًا في الفضاء العمومي الافتراضي، حيث تتيح للأفراد التواصل بشكل جماعي وتنظيم حملات أو مظاهرات أو حتى تبادل الأفكار حول القضايا السياسية.

النشاط المدني والتحركات الاجتماعية: يُستخدم الفضاء العمومي الافتراضي أيضًا لتنظيم **الحركات الاجتماعية**، مثل الحركات الاحتجاجية أو الحملات التضامنية، والتي غالبًا ما تبدأ أو يتم تنظيمها عبر الإنترنت قبل أن تترجم إلى أحداث ميدانية.

تحديات الخصوصية والأمن: بالرغم من الفرص التي يوفرها الفضاء العمومي الافتراضي، إلا أن هناك تحديات **الخصوصية** و **الأمن السيبراني** .لا تقتصر المشاكل هنا على انتشار المعلومات الشخصية، بل أيضًا على الهجمات الإلكترونية أو التضليل الإعلامي.

التمثيل الاجتماعي وتعدد الهويات: الفضاء العمومي الافتراضي يتيح للأفراد الفرصة لتقديم أنفسهم والتفاعل مع الآخرين من خلال **هويات رقمية** قد تكون مختلفة عن هوياتهم في العالم الواقعي. هذا يفتح المجال لتعدد الآراء والتوجهات الثقافية والاجتماعية في مساحة مشتركة.

فالفضاء العمومي الافتراضي هو ساحة رقمية تسمح للأفراد بالتفاعل والتبادل الثقافي والاجتماعي بحرية عبر الإنترنت. إنه يمثل تحولًا في كيفية التفاعل الاجتماعي وتبادل الآراء في العصر الرقمي، ويتيح تمثيلًا للآراء العامة بشكل متنوع. ومع ذلك، فإن هذا الفضاء يعاني من تحديات تتعلق بالخصوصية والأمن، لكنه يظل أداة قوية للديمقراطية، والنشاط المدني، والنقاش العام.

2- الفضاء العمومي الافتراضي وسمات التواصل:

من زاوية أخرى إشكالية الفضاء العمومي وعلاقته بالتفاعل عبر المجتمعات الافتراضية، تبدو أكثر قدرة نظرية، ومن خلالها يمكن إبراز تجليات تموقع فضاء عمومي افتراضي من خلال مستخدمي المجموعات الافتراضية، عبر كافة وسائل الاتصال أو شبكات التواصل.

يعرف "ريد مايور" الفضاء العمومي الافتراضي أو السيبراني: بأنه بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والمعلومات والتبادل، وهو يتكون أساسا من دائرة وسطية تكونت تاريخيا بين المجتمع المدني والدولة، وهو مناخ لجميع المواطنين للتعبير والرأي العام، فيما يشير "برنار مياج" إلى أن تنظيم الفضاء العمومي الافتراضي يتم من خلال أربعة نماذج للتواصل، تعاقب تكونها تدريجيا بواسطة صحافة الرأي العام، وبعدها الصحافة التجارية الجماهيرية ، وأخيرا التلفزة الجماهيرية، كما أشار هابرماس إلى أن نجاح المجال العام يعتمد على:

- مدى الوصول والانتشار.
- درجة الحكم الذاتي (هنا تخص حرية المواطنين ووعيهم بأن يتخلصوا من الهيمنة والسيطرة).

3- مرحلة الانتقال من الفضاء العمومي التقليدي الى الفضاء العمومي الافتراضي:

كان مفهوم الفضاء العمومي ومازال من أصعب وأعقد المفاهيم التي شغلت اهتمام الكثير من الباحثين في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية عامة والاتصالية خاصة، بالنظر لما يتميز به من خصائص ساهمت في بناء وتنظيم وتسيير المجتمعات، لذلك حلل ونوقش ونظر إليه بزوايا مختلفة باعتباره مفهوم دائم الحركة والتنقل والتغير متخذا عدة أشكال وأساليب متنوعة لتأدية أدوار مختلفة تطبع الزمان والمكان المحتويان له.

يتميز الفضاء العمومي الافتراضي ببعض الخصائص عن نظيره الفضاء العمومي التقليدي وفقا للمستويات التالية:

1- إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص: من خلال مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية واستعراض الذات في المجال العمومي.

2- أشكال جديدة من الفعل الاجتماعي: سمح الفضاء الافتراضي للفئات والجماعات والنخب السياسية والثقافية المهمشة بتجاوز آليات تغييبها وتفعيل حضورها من خلال شبكات التواصل.

3- نخب جديدة: افرز الفضاء الافتراضي نخبا جديدة بأفكار ورؤى مبتكرة.

4- الإنتاج والتحكم في المضمون: تحول جمهور الفضاء الافتراضي إلى جمهور منتج للمحتوى ومبتكر لمضامين تتعلق بذاته أو بالحياة العامة.

أنثروبولوجيا الفضاء العمومي الافتراضي: هي فرع من الأنثروبولوجيا يدرس **الفضاءات الاجتماعية والثقافية** التي تُنشأ عبر الإنترنت، خصوصًا في الأماكن التي يلتقي فيها الأفراد للتفاعل وتبادل الأفكار والمعلومات. هذا الفضاء لا يقتصر على الأماكن الرقمية التي تتم فيها التفاعلات الرقمية فقط، بل يتجاوزها ليشمل دراسة الأنماط الاجتماعية و الثقافية التي تظهر في هذه البيئات الافتراضية، مع التركيز على كيف

تشكل هذه التفاعلات الهويات الفردية والجماعية، وتعكس وتؤثر في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

المحاضرة الرابعة عشر: الأنثروبولوجيا ومجال الفضاء الخارجي

لطالما ارتبط التفكير الأنثروبولوجي بدراسة الإنسان في أبعاده الاجتماعية والثقافية والرمزية، داخل فضاءات مألوفة مثل القرية، المدينة، الحي، أو المجال الطقوسي. غير أن التحولات العلمية والتكنولوجية المعاصرة، خاصة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، دفعت الأنثروبولوجيا إلى توسيع مجال اشتغالها، فلم يعد الفضاء الاجتماعي مقتصرًا على الأرض بوصفها الإطار الوحيد للفعل الإنساني.

إن صعود برامج استكشاف الفضاء، وبروز محطات فضائية دائمة، وتنامي الحديث عن استعمار الكواكب، يطرح أسئلة جديدة حول الإنسان خارج موطنه الأصلي، وحول الكيفية التي يُعاد بها إنتاج الثقافة، والهوية، والسلطة، والمعنى، في فضاءات قصوى وغير مألوفة. من هنا، يصبح الفضاء الخارجي مجالًا مشروعًا للتحليل الأنثروبولوجي[64]، لا بوصفه مجالًا تقنيًا محضًا، بل كفضاء اجتماعي–رمزي جديد.

1. من الفضاء الاجتماعي إلى الفضاء الكوني:

في الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، يُفهم الفضاء على أنه بناء اجتماعي، أي نتاج للعلاقات الإنسانية والتمثلات الرمزية، وليس مجرد معطى جغرافي. فقد بيّن هنري لوفيفر أن الفضاء يُنتَج اجتماعيًا، ويعكس أنماط السلطة والتنظيم والمعنى داخل المجتمع.

[64] Lefebvre, H. (1991*).* The production of space. Oxford: Blackwell.

انطلاقًا من هذا التصور، يمكن النظر إلى الفضاء الخارجي ليس فقط كمجال فيزيائي خارج الأرض، بل كامتداد للخيال الاجتماعي الإنساني، حيث تُسقَط القيم، والمخاوف، والطموحات الأرضية. فالإنسان حين يغادر الأرض، لا يغادر ثقافته، بل يحملها معه ويعيد تشكيلها في سياق جديد.

2. الفضاء الخارجي كفضاء اجتماعي ناشئ

تشير الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة إلى أن المحطات الفضائية، مثل محطة الفضاء الدولية، تشكّل فضاءات اجتماعية مصغّرة، تُعاد داخلها صياغة العلاقات الإنسانية، وأنماط العمل، والسلطة، والتعاون، والصراع.

فالعيش في الفضاء يفرض شروطًا استثنائية:

- العزلة
- الاعتماد المتبادل
- هشاشة الجسد
- السيطرة التقنية العالية

وهي شروط تؤدي إلى نشوء ثقافة خاصة بالفضاء، لها طقوسها اليومية، ولغتها التقنية، وأخلاقياتها الصارمة. وقد أظهرت بعض الدراسات أن رواد الفضاء يطوّرون وعيًا جماعيًا جديدًا يُعرف بـ: تأثير النظرة الشاملة (Overview Effect)، حيث تتغير علاقتهم بالأرض والإنسانية ككل.

"حين يرى الإنسان الأرض من الفضاء، يدرك هشاشتها ووحدتها، ويعيد التفكير في معنى الانتماء الإنساني[65]".

3. الجسد الإنساني في الفضاء – مقاربة أنثروبولوجية

يحتل الجسد موقعًا مركزيًا في الأنثروبولوجيا، والفضاء الخارجي يضع هذا الجسد في مواجهة قصوى مع شروط غير أرضية: انعدام الجاذبية، الإشعاع الكوني، التغيرات الفيزيولوجية والنفسية.

من منظور أنثروبولوجي، لا يُنظر إلى الجسد هنا كموضوع بيولوجي فقط، بل كجسد اجتماعي وثقافي، تُعاد صياغة علاقته بالزمان والمكان والانضباط. فالفضاء الخارجي يكشف حدود الجسد الإنساني، ويطرح تساؤلات أخلاقية حول التدخل التكنولوجي، وتعديل الجسد، وحدود الإنسان ذاته.

4. السلطة والمعرفة في الفضاء الخارجي

لا ينفصل استكشاف الفضاء عن علاقات القوة والمعرفة. فالفضاء الخارجي مجال تنافس بين الدول، والشركات، والمؤسسات العلمية، وهو ما يجعل منه فضاءً سياسيًا بامتياز.

---

[65] White, F. (2014). The overview effect: Space exploration and human evolution (3rd ed.). Reston, VA: American Institute of Aeronautics and Astronautics, p32.

من هذا المنطلق، تدرس الأنثروبولوجيا الفضاء بوصفه امتدادًا للهيمنة الرمزية والتكنولوجية، حيث يُعاد إنتاج منطق المركز والهامش، ومنطق السيطرة باسم العلم والتقدم. وهنا يلتقي التحليل الأنثروبولوجي مع أطروحات فوكو حول العلاقة بين المعرفة والسلطة[66].

5. آفاق أنثروبولوجيا الفضاء الخارجي

تفتح أنثروبولوجيا الفضاء الخارجي آفاقا بحثية جديدة، من بينها:

- دراسة الثقافات المهنية لرواد الفضاء
- تحليل الخطابات الإعلامية حول استعمار الكواكب
- البحث في أخلاقيات العيش خارج الأرض
- مساءلة مفهوم "الإنسان الكوني"

وهي بذلك تسهم في إعادة تعريف الفضاء الاجتماعي، وتوسيع أفق الأنثروبولوجيا نحو مجالات كانت تُعدّ سابقًا خارج نطاقها.

إن الفضاء الخارجي، رغم بعده الفيزيائي، ليس بعيدًا عن الأنثروبولوجيا. بل إنه يكشف، بشكل مكثّف، عن جوهر السؤال الأنثروبولوجي: من هو الإنسان؟ وكيف يعيد بناء عالمه ومعناه في شروط جديدة؟

66 (Foucault, M. (1980). Power knowledge): *Selected interviews and other writings*. New York: Pantheon Books.

فالأنثروبولوجيا، وهي تواكب انتقال الإنسان من الأرض إلى الفضاء، تؤكد أن أينما وُجد الإنسان، وُجد الاجتماع، والثقافة، والرمز، والسلطة. ومن ثم، فإن دراسة الفضاء الخارجي ليست خروجًا عن الأنثروبولوجيا، بل تعبير عن حيويتها وقدرتها على التفكير في الإنسان داخل تحوّلاته القصوى.

المحاضرة الخامسة عشر: الحدائق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي

الحدائق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي تعد من الأماكن التي تمثل مساحة هامة للتفاعل الاجتماعي في العديد من الثقافات، حيث توفر بيئة مفتوحة تتيح للأفراد من مختلف الطبقات الاجتماعية والخلفيات الثقافية فرصة للتواصل والتفاعل. الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس هذه الفضاءات من خلال النظر في كيف يُستخدم المكان، وكيفية تأثيره في بناء الهويات الاجتماعية والثقافية، وكذلك دراسة التفاعلات بين الأفراد والمجتمعات في هذه الأماكن.

1. تعريف الحديقة:

1.1. الحديقة لغة:

تحمل الحديقة دلالات لغوية عديدة فعرفت على أنها "البستان عليه حائط، أما البستان فهو أرض أدير عليها جدار وفيها شجر وزرع"[67]، والحديقة من الرياض: كل أرض استدارت وأحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة، وقيل الحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل[68]، ويقال: الحديقة البستان والحائط وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب[69]، وقيل الحديقة: القطعة من الزرع عن كراع (في معنى الاستدارة) وكل بستان كان عليه حائط فهو حديقة وما لم يكن عليه حائط لم يقل له حديقة[70].

2.1 الحديقة اصطلاحا:

---

[67] ثامر الزواهرة، **الحدائق العامة وأثرها على المجتمع الأردني**، المجلة العربية للنشر العلمي، المجلد 5، العدد 50، 2022، ص 580.

[68] المرجع نفسه.

[69] المرجع نفسه.

[70] المرجع نفسه.

مع بدء اسقرار الإنسان وتنظيم حياته الاجتماعية وتعيين حدوده الجغرافية، وجد نفسه أمام تنوع الحاجيات، والتأمل في الطبيعة التي كان ينظر إليها ساقا كمورد للطعام والاكل، غير أن عملية الاستقرار ولدت لدى الغنسان نظرة مغايرة للطبيعة متأثرا بكيفية تصميمها وجمالها، فأدى به ذلك لمحاولة تقليدها بزرع النباتات وأخذها من أماكن مختلفة لأخرى ومحاولة زرعها وتنسيقها مع بعضها البعض معتمدا على حسه الجمالي، ليتشكل مانعرفه اليوم **بالحديقة**، بحيث يعرفها **توم تيرنر** بأنها: "مكان مخطط، عادة على اتصال بالخارج (على اتصال بالهواء الطلق) تم تنظيمه لغايات العرض والزراعة والاستمتاع بالنباتات والتشكيلات الطبيعية الأخرى، ويضيف أن الحديقة يمكن أن تجمع بين المواد الطبيعية والمواد المصنعة بيد الإنسان، أما بخصوص وظيفتها فقد تقتصر على النواحي الجمالية أو تتعداها لغايات إنتاج الغذاء[71]".

كما تمثل الحديقة مساحة خضراء ذات أهمية حضرية وكفضاء اجتماعي أساسي في التخطيط الحضري، فترعف بأنها: "عبارة عن الفضاء أو الحيز الموجود في اقليم جغرافي يسيطر فيه العنصر الطبيعي النباتي"[72].

2. الحديقة بين ثنائية "العام والخاص":

تتيح الحديقة الوصول المفتوح لكل الأفراد من الساكنة الي يعدون الفواعل الأساسية في فضاء الحديقة وسكانها الذي يملكون المعرفة الصحيحة بكيفية التعامل مع هذه المساحة، والتي تكون محددة من المالك للحديقة ومن العرف العام لاستغلال هذه المساحات التي تنشأ نتيجة التفاعل الدائم بين الأفراد ضمن هذا الفضاء، ومنه يعمل العرف الاجتماعي على جعل الفاعلين الاجتماعيين يخضعون للقواعد وتحسين التواصل والتفاهم بينهم، كون الجدائق في المجال الحضري هي جزء من السلوك اليومي للفرد في المدينة وليست

---

[71]ثامر الزواهرة، مرجع سابق، ص 580.

[72]سفيان بوعناقة، **الحدائق العامة في البيئة الحضرية بقسنطينة، دراسة ميدانية في حديقة بشير بن ناصر**، رسالة ماجيستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 36.

منظور نقدي مفروض على الفاعلين. وهو الجانب العام من الحديقة لأنه في الأصل، كان الوصول الحر لأي شخص في أي وقت مضمونًا، ولكن في الواقع، هذا ليس هو الحال دوما[73]. فهناك أفراد "مُستبعدون" تم فرض عقوبات على وجودهم. هؤلاء هم الأفراد الذين يُطلق عليهم "المنحرفون" أو "المخالفون للمعايير العامة"، مثل البغايا ومدمني المخدرات والمتسولين والمشردين واللصوص، وما إلى ذلك. يُضفي عليهم الطابع العام المجهول، الذي هو ملك للجميع ولا يخص أحدًا في الوقت نفسه، أي أن كل مواطن يستخدم مساحة الحديقة بشكل صحيح وفقًا للمعايير، صفة "الجميع"[74]. في الوقت نفسه، تُضفى على هذه المخالفات صفة "الجميع" بمعنى كل مواطن يستخدم مساحة الحديقة بشكل صحيح وفقًا للمعايير. كما أن مساحة الحديقة تخضع للمعايير والقواعد، ولا تُستثنى من ذلك أي مساحة أخرى في المدينة مما يحدد جانبين أساسيين لكيفية تصميم مساحة الحديقة: (فهي مفتوحة ومضاءة جيدًا)، وهاتان السمتان تضمنان رؤية مثالية فيه[75].

تكمن العلاقة بين العام والخاص في استخدام الحديقة من قبل الأفراد بين جانبها العام وبين التصرف الخاص للأفراد فيها، فهي تستخدم بشكل فردي، وترتبط هذه الاستخدامات ارتباطًا وثيقًا بالدعاية، وتتنوع بين حدائق عائبية وحدائق تزلج وحدائق عامة، وحتى في هذه الحالة فهي مجرد انعكاسات لرؤى شخصية خاصة لهذه المساحة - باعتبارها مكانًا للظهور والتعبير الحر[76]. يتصرف رواد الحديقة كما لو كانوا في مساحة عامة وفي الوقت نفسه في مساحة خاصة، وهذا ليس بالأمر المثير للجدل ما لم "يتجاوز" الفاعلون "الخط"، أي

---

[73]Meglena Zlatkova and other, **THE 'USES'OF THE CENTRAL PARK OR URBAN GARDEN– ANTHROPOLOGY OF URBAN PLACES A RESEARCH PROJECT–PLOVDIV, BULGARIA**, Colloquia Humanistica, 2015, p 05.

[74]Meglena Zlatkova and other, Op. Cit,p05.

[75]Ibid, p05.

[76]Ibid, p06.

الحدود الطبيعية لتصرفاتهم كمواطنين عاديين -التصرف الطبيعي تُحدد من خلال الأعراف العامة-[77]. فالفرد يعيش عمومية الوصول للحديقة وفي نفس الوقت يفضل خصوصيته في الجلوس واستغلال المساحة دون إزعاج من الآخرين.

3. التمثلات والمعاني المرتبطة باستخدام الحدائق العامة:

تختلف تصورات الأفراد للحدائق العامة حسب الطبقة الاجتماعية والحالة الاقتصادية للأفراد، والعمر والجنس، ولا يمكن أن تكون كل هذه التصورات متماثلة بين كل الفئات، وبالتالي فالاختلافات السيميائية تزودنا بالمعاني الثقافية التي تعد جزءا من الطبيعة الثقافية للإنسان. ويعد تصميم الحدائق بنية أساسية في انتاج فضاء فني ابداعي يستجيب للحاجات الانسانية الفرعية كتقدير الذات والجمالية، وبالتالي تؤثر عمليات التصميم على السلوكات وعلى التمثلات كذلك. فالمعنى الذي يُنسب إلى المساحات الخضراء العامة في المدن من قبل مستخدم عاطل عن العمل لا يمكن أن يكون بالضرورة هو نفسه المعنى الذي يُنسب إليه من قِبل مستخدمٍ مُؤمَّن له احتياجاته الأساسية للحياة الطبيعية[78]. ومعاني كلمات مثل "الترفيه" و"الاسترخاء" و"التنزه"، عند تطبيقها على وظيفة المساحات الخضراء العامة في المدن، لا يمكن أن تحمل في هذه الحالات الدلالة نفسها[79].

---

[77] Ibid.

[78]Bekkouche Ammara, **L'espace Vert Urbain Public : Entre Pratique Et Conception**, Insaniyat, v1, n2, 1997, p65.

[79]Ibid.

في المنظور الأنثروبولوجي، لا يُنظر إلى الفضاء العام باعتباره مساحة محايدة، بل هو بناء اجتماعي وثقافي تتداخل فيه السلطة، والرمزية، والتاريخ المحلي. فالحديقة العامة رغم انفتاحها الظاهري على الجميع، تخضع لقواعد غير مكتوبة تُنظم من يحق له التواجد، وكيف، وفي أي وقت، وبأي جسد.

فالذكور يرتبط ذهابهم للحدائق العامة بتمثلات الحرية وشرعية التواجد في المكان العام الذي يعد حسب **بورديو**فضاء خارجي وبالتالي فهو فضاء ذكوري، فهو لا يحتاج لتحديد ذهابه لها ولا تبرير تواجده، وعموما تمثل الحديقة بالنسبة للذكور:

- فضاء لممارسة الاختلاط الاجتماعي.
- لإثبات الحضور الجسدي والرمزي كفضاء ذكوري سلطوي في غالب الأحيان.
- لعقد شبكة علاقات اجتماعية مع باقي الذكور في الحديقة.

قد يؤثر الحضور الكبير للذكور في الحدائق على الفئات الأخرى كالإناث خصوصا، التي يكون حضورها في هذا الفضاء العام مؤطرا بالحرمة والخصوصية الاجتماعية والمراقبة، وبالسياق الثقافي للمجتمع المحيط بالحدائق العامة. فحضور الإناث في الحديقة يخضع لشروط عرفية ضمنية:

- غالبًا ما يكون حضورها مصحوبًا (مع صديقات، أطفال، أو أفراد العائلة).
- يفضل أن يكون في أوقات محددة (النهار أكثر من الليل)، مع تفادي الاختلاطات والمناوشات.
- يرتبط بالحضور المحترم، المربوط بالبحث عن الراحة وتغيير الفضاء المسكني الداخلي، ومنه التحرك والتخلص من الضغوط، ويرافق حضورها اختلاطا أنثويا واسها باعتبار المرأة أكثر قدرة على عقد العلاقات مع بني جنسها من الإناث، دون خرق المعايير الاجتماعية الشائعة.

أما بالنسبة للمتزوجين مثلا، تمثل الحديقة العامة فضاء ذا شرعية اجتماعية عالية. فالذهاب إليها يمكن فهمه ضمن خطاب العائلة، والتنشئة، والترفيه وتجديد العلاقات الأسرية وهي تمثلات ترمز للإستقرار الاجتماعي والمسؤولية الأبوية اتجاه أطفالهم.

عموما ربط معاني الحدائق إلى الممارسات المرتبطة باستغلالها. ومن أهم الممارسات التي يمارسها الجزائريون في الحدائق منها[80]:

- الاسترخاء والراحة.
- ملاحظة الطبيعة وتأملها.
- ممارسة الرياضة و الهوايات المختلفة ، ومكان للعب الأطفال وبسط الراحة.
- ممارسة العمل ومكان التقاء الأصدقاء والرفاق.
- مكان للمطالعة وقراءة الكتب.
- القيام بالنشاطات الثقافية والمهرجانات.
- القيام بالنشاطات التحسيسية والتضامنية

4. الحدائق عنصر للتماسك الاجتماعي:

المساحات الخضراء هي الأماكن المناسبة والمطلوبة لممارسة العالقات الإجتماعية، فهي مصدر

للروابط الاجتماعية، خاصة عندما تقع في قلب الأحياء المعيشية (السكن، العمل). من خلالها، تكون

[80]هشام لخذاري، **دور المساحات الخضراء في التخفيف من ضغوطات الحياة الحضارية**، مذكرة ماجستر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة بسكرة، 2021، ص75.

العلاقات بين سكان نفس الحي أكثر انتشارا وأكثر هدوءا، كما يتناقص العنف[81].حيث أوضحت بعض التجارب داخل الأحياء العمودية بشيكاغو ونيويورك أن الحدائق الواقعة بجوارها أصبحت أماكن للإلتقاء بالنسبة للسكان،وتم اجراء بعض الملاحظات في الحدائق ومقابلات مع السكان لحوالي 100 ساكن، فتوصلوا أن وجود عدد من الأشجار يعتبر دعم للديناميكيات الإجتماعية، إلى غاية أن أصبحت عوامل قوية للتماسك االجتماعي، للأمن والشعور بالإنتماء الإجتماعي الثقافي للسكان حول الأشجار، تتطور الحياة، يتولد تبادل للحديث بين السكان، تواجد الكبار يؤدي إلى تواجد أطفال والذين بدورهم يواصلون لعبهم تحت مراقبة الكبار[82].

وجود غطاء نباتي يؤثر بشكل كبير على الاحساس بالارتياح في الأماكن الحياتية أو العمل، وبالتالي على تحسين جودة الحياة. والتهيئة الطبيعية في المساحات العامة الخارجية تشجع التردد على المكان بشكل أكبر، من طرف مجموعات أكبر تتكون من أشخاص من جميع الأعمار. فالأماكن الطبيعية تساهم في تفاعل اجتماعي أفضل، وتحسين المشاركة والعلاقات بين السكان[83]. وبالتالي فالحدائق العام تسمهم في خلق جو من التفاعل الذي يؤدي بفضل تصميمها واخضرارها وعلاقة الانسان الطبيعية بالبيئة إلى الإحساس بالإنتماء، وإزالة الضغوطات الحياتية الناجمة عن العمل، العائلة، الدراسة..مما يوفر صفاء ذهنيا يسمح بخلق روابط

---

[81]Manusset, S. (2012, décembre). **Impacts psycho-sociaux des espaces verts dans les espaces urbain**s. Développement durable et territoires, Revue scientifique [En ligne], Vol. 3, n° 3 | Décembre 2012, mis en ligne le 14 novembre 2012, consulté le 11 octobre 2014, p5.

[82]UNEP (Union Nationale des Entreprises du Paysage). (2008, septembre). **Le végétal, l'oublié du Grenelle !: Bénéfices environnementaux, économiques et sociaux des jardins et espaces verts, la contribution des professionnels du Paysage**. Dossier de presse «Entreprises du paysage et Développement durable». [fichier PDF]. En ligne https://www.telabotanica.org/actu/IMG/Unep_DP_Le_vegetal_oublie_du_Grenelle_250908.pdf

[83]هشام لخذاري، مرجع سابق، ص79.

اجتماعية جديدة وتجديد النفس. ويمكن أن نجد في بسكرة عديد الحدائق منها ما هو من إرث الاستعمار ومنها ماهو تاريخي قبل الاستعماري أو حديثة النشأة، منها: (حديقة لندو وحديقة 5 جويلية، وجنان البايلك...إلخ).

6. خصائص الحدائق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي:

1. **المساحة العامة**:
   - الحدائق تمثل **فضاءات عامة** حيث يتجمع الناس من مختلف الخلفيات الاجتماعية في بيئة غير رسمية. في هذا السياق، يُعتبر الفضاء العام مكانًا يسمح بتقاطع الطبقات الاجتماعية والفئات العمرية المختلفة. على الرغم من أنها مفتوحة للجميع، فإن الأفراد يتفاعلُون وفقًا للعادات الثقافية والاجتماعية التي قد تختلف من مجتمع إلى آخر.
2. **التفاعل الاجتماعي والتواصل**:
   - الحدائق تعتبر **موقعًا للتفاعل الاجتماعي** بين الأفراد. سواء كان ذلك من خلال التحدث، اللعب، الجلوس، أو حتى ممارسة الأنشطة الرياضية، فإن الحديقة تشكل **بيئة تفاعلية** حيث يتواصل الناس في سياقات غير رسمية. كما أن وجود الأطفال أو العائلات يعزز من فكرة أن هذه الأماكن تعمل كمساحات اجتماعية حيوية.
3. **البناء الثقافي والرمزية**:
   - تُعتبر الحدائق فضاء ثقافيًا غنيًا يعكس القيم والتقاليد الاجتماعية. على سبيل المثال، في بعض الثقافات قد تكون **الحدائق مكانًا للاحتفالات** أو **التجمعات المجتمعية** مثل الأعراس أو المهرجانات. في ثقافات أخرى، قد ترتبط الحديقة بأنشطة دينية أو روحانية، مثل **طقوس التأمل** أو **التجمعات العائلية**.

4. **الفصل الطبقي والخصوصية:**

- رغم أن الحدائق هي فضاءات عامة، فإن استخدامها قد يكون **محددًا اجتماعيًا** .على سبيل المثال، بعض الحدائق قد تكون **مخصصة لأفراد الطبقات الاجتماعية العليا**، بينما قد تكون حدائق أخرى مخصصة للمجتمعات ذات الدخل المنخفض. يدرس علماء الأنثروبولوجيا كيف تؤثر هذه الفوارق في طريقة استخدام الأفراد لهذه الأماكن، سواء من خلال الأنشطة التي يمارسونها أو من خلال التفاعلات التي تحدث.

5. **الحدائق كفضاءات للتنظيم المجتمعي:**

- في بعض الحالات، تُستخدم الحدائق كمكان لتنظيم **النشاطات الاجتماعية** مثل الاجتماعات، والفعاليات السياسية أو البيئية. هي تمثل مكانًا يعزز من **الوعي الجماعي** و **المشاركة المجتمعية**، مثل أنشطة الحفاظ على البيئة أو حتى **الاحتجاجات** في بعض السياقات.

6. **الحدائق الحضرية والريفية:**

- تختلف **الحدائق الحضرية** عن **الحدائق الريفية** في الأنماط الاجتماعية والتفاعل الثقافي. في المدن الكبرى، تميل الحدائق إلى أن تكون **موقعًا للراحة** والابتعاد عن الضغوط الحضرية، بينما في المجتمعات الريفية قد تكون الحدائق جزءًا من نمط حياة **الزراعة** أو **الأنشطة التقليدية** التي تعتمد على الأرض.

7. **الحدائق كفضاءات للتجدد البيئي والاجتماعي:**

- الحدائق توفر بيئة **طبيعية هادئة** تتيح للناس التجديد **البيئي** والنفسي. في هذه المساحات، يتمكن الأفراد من **التفاعل مع الطبيعة** بعيدًا عن صخب الحياة اليومية. وفي المجتمعات التي

تركز على **الاستدامة**، يمكن أن تكون الحدائق **منصات تعليمية** للوعي البيئي وتشجيع الأفراد على ممارسة أنماط حياة صحية ومبنية على **الحفاظ على البيئة**.

7. أهمية الحدائق كفضاء اجتماعي:

1. **التفاعل بين الأجيال**:
   - الحدائق توفر فرصة للتواصل بين **الأجيال** المختلفة. من خلال الأنشطة التي يمكن أن تشمل اللعب للأطفال، والجلوس للحديث مع الأصدقاء أو الأسرة، أو المشاركة في الأنشطة الرياضية لكبار السن، فإن الحدائق تعزز من **التفاعل بين الأجيال** داخل المجتمع.
2. **الحدائق كفضاء للهوية المجتمعية**:
   - الحدائق تشكل جزءًا من هوية المجتمع المحلي. في بعض الأماكن، قد تصبح الحديقة جزءًا من **الذاكرة الجماعية** أو **التراث المحلي** الذي يحمل معانٍ خاصة للناس. على سبيل المثال، قد تحمل الحديقة رمزية ثقافية أو تاريخية تدل على **الانتصار** أو **الاحتلال** أو **التغييرات الاجتماعية** التي شهدتها المنطقة.
3. **الفضاء الأخضر والرفاهية النفسية**:
   - تُظهر الدراسات الأنثروبولوجية أن التفاعل مع البيئة الخضراء في الحدائق له تأثير إيجابي على **الصحة النفسية** و **الرفاهية الاجتماعية** .الحدائق توفر مكانًا للراحة والاستجمام، وتسمح للناس بتخفيف التوتر، مما يعزز من **الجوانب الاجتماعية** من خلال مشاركة لحظات من الهدوء والطبيعة.

8. التحديات التي تواجه الحدائق كفضاء اجتماعي:

1. **القضايا المتعلقة بالأمان:**
   - في بعض الأحيان، قد تشهد الحدائق **مشاكل في الأمان**، مثل وجود سلوكيات إجرامية أو قلة النظافة. دراسة هذه القضايا من منظور الأنثروبولوجيا تساعد في فهم كيفية تأثير **المخاوف الأمنية** على استخدام الأفراد لهذه الأماكن الاجتماعية.
2. **الضغط العمراني والتخطيط الحضري:**
   - في المدن الكبرى حيث يزداد الضغط على الأراضي الخضراء، يمكن أن تشهد الحدائق تراجعًا في المساحة أو يمكن أن تتعرض للتغيير أو **الخصخصة** .تؤدي هذه التغييرات إلى تقليص الدور الاجتماعي للحدائق، وبالتالي يؤثر على أنماط الاستخدام والتفاعل الاجتماعي.

الحدائق كفضاء اجتماعي أنثروبولوجي تمثل مساحات ذات أهمية كبيرة في فهم التفاعل الاجتماعي والثقافي. هي ليست مجرد أماكن للترفيه، بل هي **فضاءات حيوية** تعكس القيم الثقافية والاجتماعية للمجتمعات. تُعتبر الحدائق من خلال الأنثروبولوجيا مكانًا يشجع على **التواصل الاجتماعي**، **بناء الهويات الجماعية**، والمشاركة في الأنشطة المجتمعية. تساهم في تعزيز **الرفاهية النفسية** والمجتمعية، وتعد جزءًا أساسيًا من **التنظيم الاجتماعي** في المجتمعات الحضرية والريفية.

تُظهر هذه السلسلة من المحاضرات، في مجملها، أن الفضاء الاجتماعي لا يمكن اختزاله في بعده الفيزيائي أو الجغرافي، ولا في كونه مجرد إطار محايد تتحرك داخله الذوات الإنسانية، بل يتبدّى، من منظور

أنثروبولوجي، بوصفه بناءً مركّبًا تتقاطع فيه الممارسة اليومية، والتمثّل الرمزي، والبنية الاجتماعية، وعلاقات السلطة. فالفضاء ليس "معطًى طبيعيًا"، وإنما هو نتاج تاريخي وثقافي يتشكل باستمرار عبر أفعال البشر، ويعيد في الوقت ذاته تشكيل أنماط عيشهم، إدراكاتهم، وهوياتهم.

لقد مكّننا الاشتغال على فضاءات متنوّعة—كالبيت، والدار، والفضاء العمومي، والواحة، والمدينة، والريف، والحمّام—من إدراك أن كل فضاء يحمل منطقه الداخلي الخاص، لكنه لا ينفصل عن منظومة أوسع من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والرمزية. فالبيت، على سبيل المثال، لا يُفهم فقط باعتباره مأوى ماديًا، بل كفضاء حميمي لإنتاج القرابة، وإعادة توزيع الأدوار الجندرية، وبناء الذاكرة العائلية؛ إنه موضع التكوين الأول للذات الاجتماعية، حيث تتشكل مبكرًا أنماط الانتماء والسلطة والحميمية. أما الدار، بوصفها امتدادًا جماعيًا أو عائليًا موسّعًا، فتُبرز كيف ينتقل الفضاء من الخاص إلى شبه العام، وكيف تُعاد صياغة الحدود بين الفردي والجماعي داخل أنساق معمارية واجتماعية دقيقة.

وفي الانتقال إلى الفضاء العمومي، يتضح أن هذا الأخير يمثل مسرحًا مركزيًا للتفاعل الاجتماعي ولتجليات السلطة والمقاومة في آن واحد. فالشارع، والساحة، والسوق، ليست مجرد أمكنة للمرور أو التبادل الاقتصادي، بل فضاءات يُعاد فيها إنتاج النظام الاجتماعي عبر المراقبة، والتمثيل الرمزي، والتفاوض اليومي حول الشرعية والحضور. هنا تتقاطع الأجساد، وتتجاور الطبقات، وتظهر بوضوح الفوارق الاجتماعية، كما تتبلور أشكال التعبير السياسي والثقافي. إن الفضاء العمومي، بهذا المعنى، هو مجال كثيف للدلالات، تتجسد فيه علاقات الهيمنة كما تنبثق داخله إمكانات الفعل الجماعي.

وفي تحليل الفضاءين المديني والريفي، تتكشف لنا ديناميات التحول الاجتماعي المعاصر. فالمدينة، بما تحمله من تسارع زمني، وكثافة سكانية، وتنوّع ثقافي، تمثل مختبرًا أنثروبولوجيًا حيًا لإعادة تشكيل الهويات،

وتفكك الروابط التقليدية، وظهور أنماط جديدة من العيش المشترك. إنها فضاء تتراكب فيه طبقات التاريخ مع إيقاعات الحداثة، حيث تتجاور العمارة الكولونيالية مع الأبراج الحديثة، وتتصادم أنماط الحياة الريفية المهاجرة مع متطلبات الاقتصاد الحضري. في المقابل، لا يُختزل الريف في كونه فضاءً تقليديًا ساكنًا، بل يظهر كحقل دينامي يعيد التفاوض حول علاقته بالمدينة، عبر الهجرة، وتحولات أنماط الإنتاج، وتبدل القيم الاجتماعية، مما يجعل العلاقة بين المديني والريفي علاقة جدلية لا انفصال فيها، بل تبادل دائم للتأثيرات.

ويأتي الحمّام، كفضاء خاص-عام في آن، ليكشف عن بعد آخر من أبعاد أنثروبولوجيا الفضاء، يتمثل في علاقة الجسد بالمكان. فالحمّام ليس مجرد مرفق للنظافة، بل فضاء طقوسي واجتماعي تُعاد فيه صياغة الحدود بين العاري والمستور، بين الفردي والجماعي، وبين الصحي والرمزي. إنه مكان تُمارَس فيه أشكال دقيقة من الضبط الاجتماعي للجسد، وتُبنى داخله شبكات تواصل نسوية أو رجالية، وتُمرَّر عبره معارف شعبية حول العناية بالجسد والانتقال بين مراحل الحياة.

ومن خلال هذه الأمثلة جميعها، يتضح أن الفضاء الاجتماعي هو، في العمق، فضاء مُعاش ومُمثَّل ومُمارَس في آن واحد. إنه يتشكل عبر التفاعل المستمر بين البنية والفاعل، بين المخطط والمُعاش، بين ما تفرضه المؤسسات وما يبتكره الأفراد في حياتهم اليومية. فالأنثروبولوجيا، حين تدرس الفضاء، لا تكتفي بوصف الأمكنة، بل تسعى إلى تفكيك الطبقات غير المرئية التي تسكنها: أنماط السلطة، أشكال التضامن، تراتبيات النوع الاجتماعي، اقتصاديات العيش، وذاكرات الجماعات.

إن الحوصلة النظرية لهذه المحاضرات تقودنا إلى نتيجة أساسية مفادها أن الفضاء ليس إطارًا خارجيًا للفعل الاجتماعي، بل عنصرًا تأسيسيًا فيه. فالإنسان لا يعيش في الفضاء فقط، بل يُنتجه ويُعاد إنتاجه من

خلاله. وكل فضاء—مهما بدا بسيطًا أو مألوفًا—يحمل داخله تاريخًا اجتماعيًا كثيفًا، ويختزن صراعات صامتة، وتوافقات يومية، واستراتيجيات بقاء وتكيّف.

وعليه، فإن أنثروبولوجيا الفضاء الاجتماعي تفتح أمامنا أفقًا تحليليًا واسعًا لفهم المجتمعات المعاصر، ليس من خلال الخطابات الكبرى وحدها، بل عبر التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية: كيفية السكن، أنماط الحركة، استعمال الجسد، تنظيم القرب والبعد، وصياغة الحدود بين الخاص والعام. إنها دعوة إلى قراءة المجتمع من خلال أمكنته، وقراءة الأمكنة من خلال ناسها، في علاقة جدلية مستمرة تكشف أن الفضاء، في نهاية المطاف، هو أحد أكثر التعبيرات كثافة عن الوجود الإنساني في العالم.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *المقدمة*، بيروت: دار الفكر، 2004.
2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، د.ت.
3. إبراهيم جلباوي، *الهوية الاجتماعية من خلال أنثروبولوجيا الفضاء والمكان*، القاهرة، 2022.
4. سلوى السيد عبد القادر، *الأنثروبولوجيا الاقتصادية*، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2010.
5. عبد الله بن معمر، "الفضاء السكني والثقافة: نحو أنثروبولوجيا للمنزل"، مجلة آفاق، العدد 52.
6. زهرة عباس، "نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية"، مجلة الحوار الثقافي، العدد 2، 2015.
7. محمد لعاقل، "السلطة العرفية وعلاقتها بالعنف في الأسواق الشعبية"، مجلة الحكمة، العدد 5، 2015.
8. علي محمد التير وآخرون، "التحليل المكاني للأسواق الأسبوعية"، مجلة كلية الآداب، العدد 15، 2020.
9. ثامر الزواهرة، "الحدائق العامة وأثرها على المجتمع الأردني"، المجلة العربية للنشر العلمي، مج 5، ع 50، 2022.
10. قدور ميداني، *الخصوصية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسوق*، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2018.
11. محمد سعيد بعلي، *الحياة الجماعية في الأسواق الأسبوعية*، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 2، 2018.

12. سفيان بوعناقة، *الحدائق العامة في البيئة الحضرية بقسنطينة*، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010.

13. هشام لخذاري، *دور المساحات الخضراء في التخفيف من ضغوط الحياة الحضارية*، مذكرة ماجستير، جامعة بسكرة، 2021.

14. مجموعة مؤلفين، *البازار: السوق في التراث الإسلامي*، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، د.ت.

ثانياً: المراجع الأجنبية

15. Bourdieu, Pierre, *Questions de sociologie*, Paris: Éditions de Minuit, 1980.
16. Bourdieu, Pierre, *Distinction*, Cambridge: Harvard University Press, 1984.
17. Bourdieu, Pierre, "Social Space and Symbolic Power", *Sociological Theory*, 1989.
18. Braudel, Fernand, *Civilization and Capitalism*, New York: Harper & Row, 1981.
19. Castells, Manuel, *The Urban Question*, London: Edward Arnold, 1977.
20. Castells, Manuel, *The Rise of the Network Society*, Oxford: Blackwell, 1996.
21. Certeau, Michel de, *The Practice of Everyday Life*, Berkeley: University of California Press, 1984.
22. Choay, Françoise, *Pour une anthropologie de l'espace*, Paris: Seuil, 2006.
23. Cohen, Anthony, *The Symbolic Construction of Community*, London: Routledge, 1985.
24. Durkheim, Émile, *The Division of Labor in Society*, New York: Free Press, 1984.
25. Foucault, Michel, *Discipline and Punish*, New York: Pantheon, 1977.
26. Foucault, Michel, "Of Other Spaces", *Diacritics*, Vol. 16, No. 1, 1986.
27. Geertz, Clifford, *Sūq: Geertz on the Market*, Chicago: Hau Books, 2022.

28. Giddens, Anthony, *Sociology*, Cambridge: Polity Press, 2009.
29. Giddens, Anthony, *The Consequences of Modernity*, Stanford: Stanford University Press, 1990.
30. Goffman, Erving, *Behavior in Public Places*, New York: Free Press, 1963.
31. Harvey, David, *Social Justice and the City*, London: Edward Arnold, 1973.
32. Ingold, Tim, *The Perception of the Environment*, London: Routledge, 2000.
33. Ledrut, Raymond, *L'espace social de la ville*, Paris: Anthropos, 1968.
34. Lefebvre, Henri, *La production de l'espace*, Paris: Anthropos, 1974.
35. Lefebvre, Henri, *The Production of Space*, Oxford: Blackwell, 1991.
36. Lévi-Strauss, Claude, *Structural Anthropology*, New York: Basic Books, 1963.
37. Low, Setha & Lawrence-Zúñiga, Denise (eds.), *The Anthropology of Space and Place*, Oxford: Blackwell, 2003.
38. Relph, Edward, *Place and Placelessness*, London: Pion, 1976.
39. Tuan, Yi-Fu, *Space and Place*, Minneapolis: University of Minnesota Press, 1977.
40. Redfield, Robert, *The Little Community*, Chicago: University of Chicago Press, 1956.